## المقدمة

الحمدُ للّهِ الذي أرْسلَ إلى النّاسِ رُسُلاً مُبشِّرينَ ومُنْذِرينَ ، لكيْ لا يكونَ للنّاس على اللهِ حُجّةٌ بَعْدَ الرسل ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنّ محمدًا عبْدُه ورسولُه إلى النّاسِ كافّة ، وأشهدُ أنّه خاتَم النبيين ، أرسله الله بالحقّ بشيرًا ونذيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنِه وسراجًا منيرًا ، فكَشَفَ زَيْفَ ما عِنْد اليهودِ والنّصارى من العقائدِ الباطلةِ والأفكارِ الدخيلةِ على دينِ اللهِ ، وهداهم إلى الحقّ المبين فيما كانوا فيه يختلفون ، اللهمّ صلِّ وسلّمْ وبارِكْ عليه وعلى سائر إخوانه الذين خَلَوْا مِن قَبْله، واهدنا اللهمّ أن لا نقول فيهم إلاّ الحقَّ ، واحشرنا في زمرتهم يوم القيامة .

أمّا بعد : فإنّ السببَ الدافعَ لهذا البحثِ هو الرّغبةُ في مَعْرِفةِ كيف ألّهَ النّصارى مريمَ ابنةَ عِمْران ، فالآيةُ ١١٦ من سورةِ المائدةِ تُصرّحُ بذلك وهي قوله تعالى: (( وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)).

كُنْتُ أقرأُ هذهِ الآيةَ وأفهمُ منها أنّ النّصارى ألّهوا مريمَ ابنةَ عِمران أُمَّ عيسى عليه السلام ، ولكنْ لا أعرف كيف اتّخذوها إلهًا ، ولا كيف تمّ ذلك تاريخيًّا ، ولا ما هي الطوائف التي تَعبُدُها ، ولا كيفيّةَ صُوَرِ العبادةِ المقدَّمة لها ، فالنّصارى لا يتحرّجون من التصريح بأُلوهيّةِ عيسى وتقديمِ صُوَرِ العباداتِ المختلفة له باعتباره ابنًا للّهِ وإلهًا مِثْله، فهو أحد أركان الثالوث الإلهيّ عندهم ، وهم يُصَرِّحون بهذه العقيدة ، ويُشْهِرونها ويَنْشرونها في كُتُبهم ، وليس الأمرُ كذلك بالنسبةِ لأُمّهِ مريم ، فَلَمْ يَصِلْ إلى علْمي أنهم أو أنّ بعضَ طوائفِهم يُصَرّحون بأُلوهيّةِ مريم ، فَدَفَعَني حُبُّ العِلْم والرغبةُ في معرفة ماهية ذلك التأْليه وكيفيّتِهِ إلى البحث ، فهذه الآية القرآنية هي **مِنْ دلائِلِ صِدْقِ نُبُوّةِ محمدٍ** صلى الله عليه وسلم ، ذلك النبيّ الأُمّيّ الذي ما كان عنده

علمٌ بالقراءةِ والكتابةِ ، فمَنْ أخبرهُ أنّ بعضَ طوائفِ النصارى يؤلّهون مريم ؟ لا شكَّ أنّ عِلْمه وحيٌ يوحىٰ إليه من الله العليم الخبير .

وقد يسّر اللهُ لي الاطّلاع على بعض الكتب التي ألّفها نصارى كاثوليك وبروتستانت ، لتأييدِ أو تفنيدِ عبادة الصّوَر والتماثيل في الكنائس ، فأحببتُ أن أكتب في هذا الموضوع شيئًا يكون توضيحًا وتفصيلاً لمعنى ألوهيّةِ مريم المصرّح بها في الآية القرآنية على وجْه الإجمال ، ومبيّنًا لتدرّج النصارى في عبادةِ الصوَرِ والتماثيل التي في مقدّمتها صورة وتمثال المسيح عيسى وأمِّه ، وليس هدفي في هذا البحث الرّدّ على القائلين بألوهيتهما ، ولذلك لن أكون في بحثي هذا بحاجة إلى جمْع وشرح النصوص الواردة فيهما من القرآن والسنة النبوية لاستخراج الأدلة العقلية على نفي أُلوهيّتهما.

وأسألُ اللهَ تعالى أن أكون قد وُفقْتُ في إخراج هذا البحث شكلاً ومضمونًا ، وأن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه تعالى ، وأن ينفع به طالبَ الحقِّ الباحثَ عن الهدى.

اللهم جنبنا التعصب والهوى ونجنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن .
وصلّىٰ الله وسلّم وبارك على عبده ونبيه محمدٍ وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِ العالمين

## التوراةُ تحرّمُ عبادةَ الصّوَرِ والتماثيل

وردَ في التوراة نصُّ الوصايا العَشْر ، وتسمّى (دكالوك)أي : **الكلمات العَشْر ، وهي بزعمهم ما** تكلّم به الله لموسى في سيناء ، وقد كُتبتْ على لوحيْ الحَجَر ، قال كُتّاب قاموس الكتاب المقدس : ((فالوصايا العشْر ثابتة لا تتبدّل ، لأنها صالحة لكل زمان ومكان)) [(١)].

وقد ذُكِرت الوصايا العشْر في سفر الخروج ٢٠/٣-١٧[(٢)] ، وفي سفر التثنية ٥/٧-٢١، والذي يعنيني منها هنا الوصية الأولى والثانية ، فالأولى تحرّم اتخاذَ آلهةٍ غير الله ، والثانية تحرّم عبادةَ الصّوَرِ والتماثيلِ ، وهما في سفر الخروج ٢٠/٣-٤ ونصّهما كما يلي :

(( ٣ - لا يكنْ لكَ آلهةٌ أُخرى أَمامي (٤) لا تصنعْ لكَ تمثالاً منحوتاً ولا صورةً مّا مما في السماءِ مِنْ فوْقُ وما في الأرضِ مِنْ تحْتُ وما في الماءِ من تحْتِ الأرضِ لا تسجدْ لهنّ ولا تعبُدْهنّ)).

وهذا النصّ مطابقٌ تماماً لنصّهما في سفر التثنية ٥/٧-٨.

فهذه الكلمات هي جزءٌ من الشريعة الأدبية ، أيْ وصايا الله العَشْر التي تكلّم اللهُ بها إلى بني إسرائيل ، وقد حسبوا قوله : (( لا تصنعْ لك تمثالاً منحوتاً ولا صورةً مّا)) وصيةً مستقلةً قائمةً بذاتها ، وعدُّوها الثانية من العشْر في الرتبة ، ووافقهم على ذلك **النصارى الأولون** عموماً، لكنِ الكنيسةُ الرومانيةُ الكاثوليكيةُ حسبتْها جزءاً من الوصية الأولى التي هي قوله : (( لا يكنْ لكَ آلهةٌ أخرى))، وبناء على ذلك

---

(١) انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٩٧٩ و ١٠٢٩. وهو كتاب يعتني بشرح المفردات والأعلام الواردة في التوارة والإنجيل وملحقاتهما، وقد اشترك في تأليفه اثنان وعشرون من قساوسة النصارى العاملين في الكنائس والجامعات ، وصدرت الطبعة الأولى منه عام ١٨٩٤م.

(٢) الرقم الذي قبل الشرطة يعني رقم الاصحاح في السفر المذكور ، والرقم الذي بعد الشرطة يعني رقم الفقرة في الاصحاح المذكور.

حذفتْ من كتبها الوصيةَ الثانيةَ المحرِّمةَ لعبادةِ الصورِ والتماثيلِ ، وكأنها فَضْلَةٌ لا حاجة إلى ذِكْرِها ، وبحجة أنها تكرار للوصية الأُولى ، ومن أجْلِ أنْ تحافظ على عددِ الوصايا في كونها عشْراً ، قسّمت الوصيةَ العاشرةَ إلى وصيتين ، ونصّها كما يلي : (( لا تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ . لا تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ ولا عَبْدَهُ ولا أَمَتَهُ ولا ثَوْرَهُ ولا حِمَارَهُ ولا شَيْئاً ممّا لِقَرِيبِكَ )) ، فجعلوا قوله : (( لا تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ)) هو الوصية التاسعة، وما تبقى منها هو الوصية العاشرة(١).

وقد رفض كثيرون هذه القِسْمةَ ، فالمعلّم ثاوفيلس ميّز الوصايا العَشْر هكذا: (أولاً) : لا يكنْ لكَ إلهٌ آخر غيري (ثانياً ) : لا تصنعْ لكَ صورةً ولا تمثيلاً ، إلى أنْ يقول : (عاشراً ) لا تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ ولا تَشْتَهِ امْرَأَتَهُ ولا . ولا . إلى آخره . وكذلك المعلم أُوريجانوس يقول : إنه إذا أردْنا أن نَعُدَّ الوصية عن الصور كأنها جزءٌ من الأولى لا يكمل عدد العَشْر ، ومثله رأي إكليمنضس الإسكندري ، وأثناسيوس ، وإيرونيموس وكثيرين غير هؤلاء (٢).

والأمر واضح لدى كلّ ذي بصيرة أنّ الوصية الأولى : (( لا يكنْ لكَ إلهٌ آخر غيري)) مختصّة بالمعبود ، وأنّ الوصية الثانية (( لا تصنعْ لكَ تمثالاً منحوتاً ولا صورةً مّا )) مختصة بطريق العبادة ، فالأُولى دلّتنا على مَنْ تجب عبادته ، والثانية دلّتنا على كيفية عبادة ذلك المعبود ، ولا يخفى ما بين الأمرين من التفاوت ، ولحِكْمةٍ مّا اقترنت الوصيتان في الوصايا الأدبية العَشْر ، وبدون الوصية الثانية فإنّ البَشَرَ يَجْهلون العبادةَ التي يرضاها الله ، ولربما عبدوه بطريقةٍ يُهانُ بها عِوض أنْ يُعَظّمَ ، فيكون وجودُ تلك العبادة أشرّ وأضرّ من عدمها. (٣)

---

(١) فنديك ، كرنيليوس : كشف الأباطيل في عبادة الصور والتماثيل ، بيروت، (١٨٥٣م)، ص ٢. وقاموس الكتاب المقدس ، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ، بيروت، ط٢ ، (١٩٧١م) ، ص ١٠٢٩.

(٢) بردكان ، إسحاق : الثلاث عشرة رسالة ،بيروت ، (١٨٤٩م)، ص ١٩١.

(٣) فنديك ، كرنيليوس : كشف الأباطيل في عبادة الصور والتماثيل ، بيروت، (١٨٥٣م) ، ص ٣.

وبناء عليه فلا وجه لزعم الذين حذفوا الوصية الثانية بأنها بَدَلٌ من الأُولى أو تفسيريّة لها ، وغايتهم في هذا الزعم أنْ يَدْفعوا عن أنفسهم التهمةَ بمخالفةِ وصايا اللهِ في عبادتهم الصوَرَ والتماثيلَ ، ولكنهم بقولهم هذا أَثبتوا على أنفسهم نَفْسَ الخطيئةِ التي أرادوا أنْ يتبرّؤوا منها ، لأنه إذا كانت الوصيةُ الثانيةُ بَدَلاً أو تفسيرًا لقوله في الأُولى (( لا يكنْ لكَ إلهٌ آخر غيري)) فينتج من ذلك أنّ عبادة الصورِ والتماثيل هو بالذات اتخاذُ إلهٍ آخر غير الله ، علْماً أنّ التفسير لا داعي له عند الوضوح ، ولكنْ إذا وقعتْ جملةٌ مبهمةٌ فيؤتَى بعدها بجملةٍ تفسيريةٍ توضحها ، وعلى حسب زعمِ هؤلاء يكون قوله : (( لا يكنْ لكَ إله آخر غيري )) مبْهَمًا ومفتقرًا إلى تفسير ، فيوجّه إليهم السؤال التالي : فسّروا لنا الوصيةَ الأُولى ، وكيف يكون اتخاذُ إلهٍ آخر غير الله ؟ فسيكون جوابهم : إنّ الله فسّر مرادَهُ من الوصية الأُولى بقوله في الثانية : (( لا تصنعْ لكَ تِمثالاً منحوتًا ولا صورةً مـّا)) ، فينتج منه أَنّ الذين اتخذوا الصُّوَرَ والتماثيلَ وعبدوها ، قد اتخذوا آلهةً أخرى غير الله على حسب تفسيرهم الذي هم أنفسهم يفسّرونه ويرتضونه ، وعليه فهم قد تعدّوا الوصيتيْن معاً ، سواء قيل بأنّ الثانية منهما قائمة بذاتها ومستقلة عن الأُولى ، أم قيل إنها تفسيرية ، فالتعدّي منهم واقع على كِلا الوجهين ، قال كرنيليوس فنديك : (( ولكنّ الأمر الواقع يرينا ضروريّة هذه الوصية، لأنّ الناس قد سقطوا في هذه العبادة بعينها منذ زمان نوح ، وفي عصرنا هذا لم يزل الثلثان من أهل المسكونة عَبَدَةَ أصنامٍ اسمًا وفعلاً ، ونحو ثُلُثَيْن من المسيحيين هم كذلك بالفعل وإنْ لم يكونوا بالاسم ، فإذًا يكون ذِكْرُ هذه الوصية ضروريًّا ، وعِوض أنْ تُحْذَف أو تُخْفَى يجب أنْ ينادَىٰ بها في مسامع البَشَر بأعلى صوت )) (١)

وورد تحريمُ عبادةِ غير الله سواء كان تمثالاً أو صورةً في مواضع عديدة من التوراة وأسفار الأنبياء الملحقة بها ، وليس تحريمها في الوصايا العَشْر فقط ، فقد

(١) فنديك ، كرنيليوس : كشف الأباطيل في عبادة الصور والتماثيل ، بيروت، (١٨٥٣م) ص ٥ - ٦.

ورد في سفر الخروج ٢٠/٢٣ ، و٣٤/١٧ ، وفي سفر اللاويين (الأحبار) ١٩/٤ ، و ٢٦/١ ، وفي سفر التثنية ٤/١٥-١٩ و ٢٣ و ٢٥ ، و ٦/١٢ - ١٥ ، و ٢٧/١٥ ، وفي سفر إشعياء ٤٠/١٨ - ٢٠ ، و ٤٤/٩ - ٢٠ ، و ٤٦/ ٥ - ٧ . وأكتفي بذكر نصّ موضعين منها :

ففي سفر اللاويين ٢٦/١ (( لا تَصْنَعُوا لَكُمْ أَوْثَاناً وَلَا تُقِيمُوا لَكُمْ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا أَوْ نَصَباً وَلَا تَجْعَلُوا فِي أَرْضِكُمْ حَجَرًا مُصَوَّرًا لِتَسْجُدُوا لَهُ لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ )) .

وفي سفر التثنية ٢٧/١٥ (( مَلْعُونٌ الإِنْسَانُ الّذي يَصْنَعُ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا أَوْ مَسْبُوكًا )) .

قال المعلم ميخائيل مشاقة بعد ما ذكر فقرتيّ سفر الخروج ٢٠/٣-٤ (وهما في سفر التثنية ٥/٧-٨) اللتيْن تحرّمان اتخاذَ الصوَر والتماثيلِ لأيّ شيءٍ في السماءِ أو في الأرضِ أو في الماءِ : (( فيا ترى هل الذين تُتخذ صُوَرُهم سواء كان الثالوث الأقدس، أم القديسين أم الملائكة ، لا يصْدق عليهم أنهم ممّا في السماء أو الأرض أو الماء تحت الأرض ، وهل هم بمعزل عن الوجود في أحد هذه الأمكنة الثلاثة لكي يكونوا بمعزل عن دخولهم تحت هذه الوصية فيجوز لنا اتخاذ صُوَرِهم وتماثيلهم ، ونقدّم لها السجود والعبادة الممنوعيْن من اللهِ نفسِه أن يقدّما لصورةٍ وتمثالِ كلّ ما يوجد في هذه الأمكنة الثلاثة ؟ والجواب : أنهم ضمن هذا الحدّ ، فإذنْ لا نقدر على تقديم أنواع العبادات لصورِهم وتماثيلهم بدونِ مخالفةِ أمره تعالى )) [1].

وقال إسحاق بردكان في تعقيبهِ على نصّ فقرات الوصية الثانية ما يلي : ((ويزيد على منْع صنعهن بقوله : ( لا تسجدْ لهنّ ولا تعبدْهنّ) ، فالسجود شيء والعبادة شيء آخر ، ولكنّ القولَ الإلهيّ يَقْطَع كليْهما ، ويحذّر من أنْ نعبدَهنّ بحواسّ القلب ( أيْ بمحبةٍ أو خوفٍ أو رجاءٍ ) ، وأنْ نسجدَ لهنّ ونكرمهنّ بحركاتِ الجسدِ الظاهرةِ)) [2].

---

(١) مشاقة ، ميخائيل : الدليل إلى طاعة الإنجيل ، بيروت، (١٨٤٩م) ، ص ١١٥.
(٢) بردكان ، إسحاق : الثلاث عشرة رسالة ، بيروت ، (١٨٤٩م) ، الرسالة الخامسة (في عبادة الأيقونات ) ، ص ١٨٦.

وقد جَرَتْ مناقشةٌ دينيةٌ بيْن المعلِّم ميخائيل مشاقة [١] وبيْن مكسيموس مظلوم[٢]

---

(١) وهو على حسب ما عرّف به نفسَه في مطلع كتابه (الدليل) : ميخائيل بن جرجس بن إبراهيم مشاقة ، وُلد في لبنان سنة ١٢١٤هـ = ١٨٠٠م في أهلِ بيتٍ معتبَرٍ ، ونشأ في دمشق ، وكان أبوه موظفاً عند حاكمِ جبل لبنان ، ومشهورًا بحسْن العبادةِ والتقوى على حسب مذهبِ طائفتهِ الرومِ الكاثوليك ، فربّاهُ تربيةً دينيةً ، ثم تعلّم علمَ الحسابِ والجبرِ والهيئةِ والكرةِ الأرضيةِ والنجومِ والطبيعياتِ، ثم رحل إلى القاهرة وأخذ شهادةَ الطبّ من مدرسةِ القصرِ العيني ، ولمّا عادَ إلى دمشق عُيِّنَ فيها نائباً للقنصلِ الأمريكي ، وبقي فيها إلى وفاته سنة ١٣٠٥هـ = ١٨٨٨م ، وله عدةُ مؤلفات في علومٍ مختلفة منها : أجوبة الإنجيليين على أباطيل التقليديين .

(انظر كتابه : الدليل إلى طاعة الإنجيل ص ٣ ، وانظر : معجم المؤلفين ١١١/٤ و ٥٧/١٣ ، وهدية العارفين الملحق بكشف الظنون ٤٨٦/٦).

قال في مطلع كتابه (الدليل إلى طاعة الإنجيل) ما يلي مختصرًا من ص ٣ - ٦ مع المحافظةِ على نصِّ الفاظهِ : (( فهذه العلومُ التي تعلّمتُها قد أرشدتني إلى معرفةِ عظمةِ الباري تعالى ، لاطّلاعي بها على عِظم مصنوعاته ، إلّا أنها جعلتني أحتقرُ الديانةَ المسيحيةَ ، وكلّما ازدادَ تأملي مع عقائدِ الشريعةِ المسيحية يزدادُ نفوري منها ويرسخُ عندي كذبها، وكان الذي يحملني على النفورِ منها والتكذيب لتعاليمها هو ما كنتُ أراهُ فيها خارجًا عن الحقِّ والعَدْلِ ، أو مناقضاً لحُكْم الحواسّ ، فمن ذلك :

<u>أولاً</u> : الاعتقادُ بأنّ طغمةَ الإكليروس هم خلفاءُ المسيحِ على الأرضِ ، وأنّ لهم سلطاناً على حَلّ الخطايا ومَسْكِها.

<u>ثانياً</u> : تحريضُ الكهنةِ للشعبِ على تقديمِ العباداتِ والتوسلاتِ إلى القديسين الموتى لكيْ يُعينونا أو يَشْفعوا فينا.

<u>ثالثاً</u> : أنّ معلّمَ الاعترافِ مرارًا كثيرةً يَفرضُ على المعترفِ قانوناً أنْ يُضيءَ مصباحاً لدى صورةِ القديسِ فلانٍ ، أو يسْجدَ أمامَ الأيقونةِ الفلانيةِ ، فهذا كنتُ أعتبره أنه لا يفْرق شيئاً عن عبادةِ الوثنيين ، فإذنْ هذهِ العبادةُ باطلةٌ ، والشريعةُ الآمرةُ بها كاذبةٌ )). انتهى بلفظه مختصرًا.

(٢) هو : مكسيموس بن جرجس مظلوم ، وُلد في حلب سنة ١١٩٣هـ = ١٧٧٩م ، ودرس اللاهوت على جرمانوس آدم ، وعُيّن خورياً لكنيسةِ حلب ثم أسقفاً عليها ورئيساً لمدرسة عين تراز ، ثم رحل إلى رومية ودرس فيها اللغات اليونانية واللاتينية والإيطالية ، ولمّا عاد إلى الشرق انتُخِب بطريركاً لطائفةِ الرومِ الكاثوليك (المَلَكِيين) ، وله عدة مؤلفات ، وتوفي بالإسكندرية سنة ١٢٧١هـ = ١٨٥٥م. (معجم المؤلفين ٢٢٠/١٢).

بطريرك طائفةِ (المَلَكية ) الروم الكاثوليك ، وكان هذا قد استدعاه ليعْلَمَ أسبابَ اعتزالهِ لكنيستهِ ، وكان مكسيموس صَديقاً ومُحِبّاً لعائلةِ مشاقة ، فلمّا حضر إليه سأله جملة أسئلة ، قال ميخائيل مشاقة : (( فمن جملة الأسئلة حذْف الوصيّة الثانية من العَشْر وصايا الناهية عن اتخاذِ الصوَرِ والتماثيلِ وعن السجود لها ، فلو سلّمنا بأنها تابعة للوصية الأولى لم نزل على كل حال ملتزمين بحفظ الوصية مستوفية حدودها بالتمام ، ومن حدودها أنْ لا نتخذَ الصورَ والتماثيلَ ولا نسجدَ لها.

فأجابني الجواب المعلوم : إنّ اتخاذَها بصفةِ تاريخٍ لمن يجهل القراءةَ ، وإنّها في برْهةٍ وجيزةٍ تستحضِر في ذهنِ الناظرِ إليها ملخصَ تاريخِ صاحبِها ، وإنّه لا يوجد فيها قوةٌ أصْلاً ، وإنما نكرم فيها عنصرَ صاحبِها العائدِ إلى المسيحِ نفسِه )) [(١)] .

## أصْلُ عبادةِ الصُّوَرِ والتماثيلِ [(٢)]

كان قومُ نوحٍ عليه السلام هم أولَ مَن اخترع عبادةَ الأصنام ، وبعد ما دمّرهم

---

(١) هذه المناقشة الدينية التقريرية اللسانية مدوّنة في كتابه : الدليل إلى طاعة الإنجيل ص ١٥-١٨، ثم استمرت بينهما المناقشة التحريرية الكتابية، وهي أيضاً مدوّنة في كتابه المذكور ص ١٩-٥٦. وكان البطريرك مكسيموس يعتذر أحياناً عن الردّ لعدم الفرصة ، وأكتفي بمثال واحد مما جاء في ردوده : (( إنه في هذه العشية وَصَلَنا تحريرك المؤرخ في اليوم الحاضرِ نفسِه، وعند تلاوتنا إيّاه تزايد حزننا على حالِ نفسِك ، لأننا لاحظْنا فيكَ بالتمام حال الضالين ، فنحن أثقال وظيفتنا لا تعطينا زَمناً نضيّعه سدى في إقناع مَنْ تصلّب بالضلال )) . انظر الكتاب المذكور ص ٤٤،وانظر ص ١٩. وكانت تلك المناقشة سبباً في وضع مشاقة كتابَه (الدليل إلى طاعة الإنجيل) ليردّ فيه على ضلالات فرقته الكاثوليكية ، فجاء كتابه في خمسة عشر باباً بـ ٣٢٤ صفحة من القطع العادي، وطبعه في بيروت سنة ١٨٤٩م ، وكان الباب الخامس منها ( في عبادة الأيقونات)، والباب السادس ( في عبادة الملائكة والقديسين وطلب معوناتهم وشفاعاتهم) ، وهما من ص ١١٢ - ١٥٣.

(٢) فنديك ، كرنيليوس : كشف الأباطيل في عبادة الصور والتماثيل ، بيروت، (١٨٥٣م) ، ص ٧ - ١١. والطرابلسي ، نوفل : سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، بيروت ، (١٨٧٦م)، ص ٤- ٩ . وقاموس الكتاب المقدس ص ٤٥٨، و ٨٤٢، و ٩٥٤.

اللهُ بالطُّوفانِ ، سَلَكَتْ البشريةُ في التوحيدِ زَمَنًا ثمَّ عادتْ إليها عبادةُ الأصنامِ من طريقِ قومِ نمرودِ بنِ كوش بن حام بن نوح في أرض الكلْدانيين في نواحي بابلَ وما بيْن النهرين، وكانوا يعبدون الأجرامَ السماويةَ وأبرزها الشمس والقمر والكواكب السيارة، ثم انقسموا إلى طائفتين :

طائفة صَنعت لهذهِ الأجرامِ السماويةِ تماثيلَ ، فإذا غابت الأجرامُ عن أبصارهم عبدوا تماثيلَها ، وهي الطائفة التي سُمّيتْ فيما بعد بالصابئة .

وطائفة كانت تضرِم نارًا تُشيرُ بها إلى نورِ الشمسِ وتعبدها نيابةً عن الشمس ، وهي الطائفة التي سُمّيتْ فيما بعد بالمجوس.

وكلْتا الطائفتين عندما تُوفّيَ بعضُ مشاهيرهم ، جعلوا لهم مواسمَ وأعيادًا تذكرةً لهم، وبعد قليل تحولت التذكرةُ إلى عبادة ، فإنه على توالي الزمان زاد اعتبارُ هؤلاء الأشخاص عند قومهم شيئاً فشيئاً حتى ارتقوا إلى درجة الأُلوهية في نظر عابديهم.

وقد تأثر اليهودُ بالأممِ المحيطةِ بهم فالتطخوا بعبادةِ الأصنامِ مع وجودِ الوصيتيْن الأُولى والثانية من الوصايا العَشْرِ بين أيديهم ، ومع كثرةِ القُيُودِ التي قيّدهم اللهُ تعالى بها لكيْ يمنعهم عن السقوطِ في هذه الرذيلةِ ، فانتقمَ اللهُ منهم انتقاماتٍ شديدةً جدًا أشهرها السبْي إلى بابل ، وبعد عودتهم منه تحسنتْ حالُهم ونَفَروا من عبادةِ الأصنام.

## سَرَيانُ عبادةِ الصُّوَرِ والتماثيلِ إلى الكنائسِ النصرانيةِ

لقد كان الحواريّون وتلاميذُهم من اليهودِ المؤمنينَ بالمسيحِ عيسى عليه السلام ،

مثّلَ قومِهم بوجْهِ العمومِ يُحرِّمون عبادةَ الصورِ والتماثيلِ استناداً لنصوص التوراة، وكانوا يَعِظُون أَتْباعهم والأُمَمَ الذين يختلطون بهم أنْ لا يجلسوا في بيت الوثن ولا يأكلوا مما ذُبِحَ له(١) ، وكان الذين يؤمنون بالمسيح - في بدايةِ الديانةِ النصرانية الحقّةِ - يَتْركون عبادةَ الأصنامِ ، ويُشدّد عليهم كثيرًا في اجتنابِ الصورِ والتماثيلِ ولو كانت على اسم الله أو الملائكة أو القِدّيسين ، واستمرّ هذا النفور الشديد من استعمال صنعة الأيادي (تصويرًا أو تمثيلاً ) مدةً طويلةً تزيدُ على ثلاثةِ قرونٍ ، كان المؤمنون الموحِّدون خلالها كثيرين ، وكان نشاطُهم ظاهرًا ، حتى إنّ كهنةَ الأوثانِ وصانِعي الأصنامِ في تلك الأيامِ قلّ رواجُ بضاعتِهم ، وأوشكتْ هياكلُ الأصنامِ أنْ تُهْجَر ، واشتكوا من امتدادِ الديانةِ النصرانيةِ وإلى مدةٍ تزيدُ على ثلاثةِ قرونٍ ، لم تكنْ في الكنيسةِ النصرانيةِ عبادةُ الصورِ أو التماثيلِ باتفاق المؤرخين جميعًا ، بل قال بعضهم : إنه لمْ تُرَ صورةٌ في الكنائسِ ولا في البيوتِ أيضاً مدة الأجيالِ الثلاثةِ الأُولى ، وأقوالهم مدوّنة في كتابِ أصولِ الديانةِ المسيحيةِ للمعلم جوّينين ، وتاريخِ المعلمِ دانيال ، وتاريخِ المعلمِ إسكندر ، وفي مصنفاتِ المعلمِ إيرازمس ، وتصانيفِ إيرينيوس أَسْقُفِّ ليون ، وتصانيفِ أوسابيوس أَسْقُفِّ قيسارية ، وتصانيفِ أبيفانيوس أَسْقُفِّ قبرص ، وكذلك تصانيفِ إثناسيوس وإيرونيموس ، فقد ذكروا في مصنفاتهم كلّ الأشياءِ المستعملة في طقوسِ العبادةِ النصرانية بالتفصيل، ولم يذكروا بينها الصُّوَرَ والتماثيلَ إطلاقاً ، فكيف لبّس الشيطانُ على بعضهم لإدخالِ هذه العبادةِ في الكنائسِ وتمكينها فيها ؟

وأتركُ جوابَ هذا السؤال لأحدِ علمائهم الذي قال ما ملخصه (٢): إنّ كثيرين من الأممِ الوثنيةِ الذين دخلوا في النصرانيةِ وكانوا معتادين على العبادةِ في الهياكلِ المزخرفةِ المملوءةِ من التماثيلِ ، ومن أفخرِ أنواعِ صنْعةِ الأيادي - لم يلْتذّوا بالدخولِ إلى الكنائسِ النصرانيةِ الخاليةِ من هذه الزخارفِ المبهجةِ ، ولم يقنعوا ببساطةِ العبادةِ النصرانيةِ المقتصرةِ على تلاوةِ الإنجيلِ وإقامةِ الصلاةِ والترتيلِ ، فلأَجْلِ إرضاءِ هؤلاءِ

---

(١) انظر : سفر أعمال الرسل ١٥/٢٩ ، و ٢١/٢٥ .

(٢) فنديك ، كرنيليوس : كشف الأباطيل في عبادة الصور والتماثيل ، بيروت ، (١٨٥٣م)، ص ١٣و ١٤ و ١٨ و ١٩.

الوثنيين ابتدأ النصارى في الجيلِ الرابعِ يستعملونَ الصّوَرَ في بعضِ الكنائسِ، ثم ازدادَ هذا العملُ بتمادي الزمانِ فأخذوا هياكلَ الأصنامِ الوثنيةِ كما هي وجعلوها في الكنائسِ النصرانية مع تغيير أسمائها من أسماء وثنيةٍ إلى أسماء نصرانية فالتمثالُ الذي كان على اسمِ زيوس صارَ على اسمِ بطرس ، والذي كان على اسمِ هرمس صارَ على اسمِ بولس، والذي كان على اسمِ الزهرةِ صار على اسمِ مريم العذراءِ، وهيكلُ جميعِ الآلهةِ الوثنيةِ صار كنيسةَ جميعِ القديسين في رومية .

وفي احتجاجِ ميخائيل مشاقة على كنسيةِ روما يقول : (( ولكنْ لنا عليها في هذا وجْهُ احتجاجٍ لا يَنْدفعُ ، وهو : أنَّ الوثنيينَ القدماءَ قد صنعوا أصنامًا كثيرةً بحسبِ أشكالِ معبوداتهم ، ووضعوها في هياكلهم ليعبدوها ، وكثيرٌ من هذه الهياكل قد أحالتْه كنيسةٌ رومية إلى كنائسَ ، وتلك الأصنامُ التى هى تماثيلُ الشياطين باقيةٌ فيها إلى الآن ، وقد كرّسها الرومانيون على أسماء بعضِ القديسين المسيحيين ، وصاروا يعبدونها مع أنها تماثيلُ الشياطين ، فإذا كانت حَضْرتها تزعمُ مرتشدةً من الروحِ القدسِ ومعصومةً من الغلطِ ، فبأيِّ روحِ ديانةٍ مسيحيةٍ ساغَ لها أنْ تُكرِّسَ تماثيلَ الشياطينِ وتعبدَها وهي من صنعةِ الوثنيين ؟ ))[1]

وكانَ أوّلُ ظهورِ العبادةِ الوثنيةِ في الكنائسِ على أيدي بعضِ طوائفِ الأراتقةِ، مثْل السيمونية والمانيكية والغنوستكية[2] الذين صنعوا تماثيلَ على اسمِ المسيحِ ومريم وفيثاغورس وأفلاطون ، ومنهم امتدتْ إلى الكنائسِ الأرثوذكسيةِ والكاثوليكيةِ، إذْ

---

(١) مشاقة ، ميخائيل : الدليل إلى طاعة الإنجيل ، بيروت ، (١٨٤٩م) ، ص ٢٢٣.

(٢) السيمونية : نسبة إلى سيمون الساحر . والمانيكية : نسبة إلى ماني الفارسي. والغنوستكية: نسبة إلى غنوسيس ، وكلها من بِدَع الفلسفة الممزوجة ببعض العقائد النصرانية. انظر : موسهيم ، يوحنا لورنس : تاريخ الكنسية المسيحية القديمة والحديثة، بيروت ، (١٨٧٥م) ، ص ٤٦ - ٤٧. والطرابلسي ، نوفل : سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان ، بيروت ، (١٨٧٦م ) ، ص ١٤٣-١٤٤. والدبس الماروني، يوسف إلياس : تحفة الجيل في تفسير الأناجيل ، بيروت ، (١٨٧٧م) ، ص ١١٣ و ٢٩٠. وقاموس الكتاب المقدس ، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ، ط ٢ ، بيروت ، (١٩٧١م) ، ص ٤٩٧.

إنه بالتدريج صارَ الإكليروسُ في الكنائسِ يعلـّقون الصورَ والتماثيلَ لجذْبِ قلوبِ العامـّةِ والوثنيين إليهم ، ويمنعون تَكْسِيرَها ، لظنهم انه لنْ يَنجرَّ أحدٌ إلى عبادتها ولكـنْ خابَ أملُهم ، فبمرورِ الزمانِ وقَعَ الناسُ في تعظيمها وعبادتها ، ولو أنهم اقتدوا بالبابا أبيفانوس ، وعملوا بوصيته ما كانوا سبباً في ضلالِ النّاسِ وغوايتهم.

ففي سنة ٦٠٠م قام سيرينوس أسْقُفُّ مرسيليا (مسيلا ) بفرنسا بتكسيرِ التماثيلِ والصّوَرِ ، وإبادتها من جميعِ الكنائسِ التابعةِ له ، فكتب له البابا غريغوريوس الكبيرُ سنة ٦٠١م كتاباً هذا نصّه : (( إنه قد بَلَغَنا انك لمّا رأيتَ بعضَ أُناسٍ ساجدينَ للأيقوناتِ كسرتَها وألقيتَها ، فنحن حقاً نمدحك لأجْلِ غَيْرتك على أنْ تمنعَ السجودَ لكلِّ شيءٍ مصنوعٍ بالأيادي ، ولكنْ حسبَ رأينا لا يجبُ أنْ تكسرَ الأيقوناتِ لأنّ الصورةَ تُنْشَرُ في الكنيسةِ لأجْلِ أنّ الذين لا يَعرِفون أنْ يقرؤوا في الكتب يمكنهم من نظرهم إلى الحيطانِ أنْ يقرؤوا أشياءَ لا يستطيعون أنْ يقرؤوها في الكتبِ ، فإذنْ قد كان سبيلُك أنْ تحفظَ الأيقوناتِ ، ومع حفْظها تمنع الشعبَ عن السجودِ لها ، حتى إنّ الذين لا مَعرِفةَ لهم بالقراءةِ تكون لهم واسطة لمعرفةِ التواريخِ ، ومع ذلك لا يميلون إلى خطيّةِ السجودِ للأيْقوناتِ )) (١).

وكتب هذا البابا كتاباً آخر إلى أسْقُفّ كسر الأيْقوناتِ(٢)، وهذا نصُّه : (( إنّه قد بَلَغَنا أنك بغَيْرةٍ من دونِ صبرٍ ولا رويّةٍ كسرتَ أيقوناتِ القدّيسين ، كأنّك تعتذرُ بالنصّ الإلهيّ على منْعِ السجودِ لها ، أمّا منعُ السجودِ لها فنحنُ نُقدّمُ لك مديحًا عليه، وأمّا كسْرها فلا ، لأنّ السجودَ للأيْقُوناتِ هو شيء ، والتعلّم منها ماذا يجب أنْ نعبُدَهُ فهو شيءٌ آخر ، والذي هو الكتابُ المقدسُ لأصحابِ القراءةِ هو الصُّوَرُ للسذّجِ والبسيطين ، فما كان ينبغي لك كسْرها ؛ لأنها موضوعةٌ في الكنائسِ لا لأجْلِ السجودِ لها، بل لأجْلِ التعلّمِ منها ، نلتمسُ منك أنْ ترجعَ فتردَّ العقولَ التي تَعْلمُ أنها انفصلتْ من شَركتك ؛ لأنّ سبيلَك أنْ تجمعَ الكنيسةَ ، وتبيّن لهم من شهاداتِ

---

(١) بردكان ، إسحاق : الثلاث عشرة رسالة بيروت ، (١٨٤٩م) ، ص ١٩٣. وفنديك، كرنيليوس : كشف الأباطيل في عبادة الصور والتماثيل ، بيروت ، (١٨٥٣م)،ص٢٢، نقلاً عن كتاب المجامع الكبير م ٦، ص ١١٥٦.

(٢) جمع أيْقُونَة، وهو لفظ يوناني معرب معناه الصّوَر والتماثيل .

الكتابِ المقدسِ كيف إنّ أمْرٌ محرّمٌ علينا أنْ نسجدَ لشيءٍ مصنوعٍ بالأيادي، لأنه مكتوبٌ : للربِّ إلهكَ تسْجُدُ وله وَحْدَهُ تَعْبُدْ*، فعرِّفْهم أنْ ليس ذلك التاريخُ الظاهرُ في الصُّوَرِ هوالذي أزعجَ خاطركَ بل السجودُ لها ، وإذا كان أحدٌ يريدُ أن يَعملَ أيقونةً فلا تمنعْهُ، ولكنْ على كلِّ حال لا بدّ من اجتنابِ السجودِ لها . أفهِم الشعبَ باجتهادٍ أنهم مِنْ نَظَرِهم إلى الأعمالِ المؤرّخةِ في الصُّوَرِ يحفظونها في عقولهم وقلوبهم )) (١).

والمعلّم بيدا يقول : إنه لا يوجد قولٌ إلهيٌّ يمنعنا عن تصويرِ الصُّوَرِ، ولكنْ على كلِّ حالٍ قوله تعالى يمنعنا عن أنْ نصنعها لغايةٍ وأنْ يُسْجدَ لها أو تُعْبدَ ، وكان أدامنتيوس المنيكي يَمنعُ الصور لكنّهُ أَمامَ الوثنيين يتظاهرُ بحبّها ، لكيْ يُطَيِّبَ قلوبَهم وينالَ منهم جميلاً لملّتهِ (٢).

## رأيُ المجامعِ النصرانيةِ في عبادةِ الصورِ والتماثيل (٣)

لقد وَجَدَ استعمالُ الصوَرِ والتماثيلِ في الكنائسِ مقاومةً كبيرةً من بعضِ الإكليروس، حتى إنّ بعضَ العوامِّ قاوموا هذا العملَ باجتهادٍ بليغٍ ، ولشدةِ الخلافِ في هذه المسائلِ بين مؤيّدٍ ومُعارضٍ، انعقدتْ عدةُ مجامعَ منها :

مجْمعُ ألفيرا: هذا المجْمعُ انعقدَ في مدينةِ ألفيرا في اسبانيا سنة ٣٠٥ أو ٣٠٦م وحَكَمَ بتحريم وضْعِ الصورِ في الكنائسِ ، لئلّا ينقادَ الناسُ إلى عبادتها.

---

(١) بردكان ، إسحاق : الثلاث عشرة رسالة ، بيروت ، (١٨٤٩م)، ص ١٩٤-١٩٥.

(٢) بردكان : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

(٣) بردكان ، إسحاق : الثلاث عشرة رسالة، بيروت ، (١٨٤٩م)، ص ١٩٦ و ٢٠٨ و ٢١١. ومشاقة ، ميخائيل : الدليل إلى طاعة الإنجيل ، بيروت، (١٨٤٩م) ، ص ١٢٢. وفنديك ، كرنيليوس : كشف الأباطيل في عبادة الصور والتماثيل ، بيروت، (١٨٥٣م)، ص ١٥-٢٢. وموسهيم ، يوحنا لورنس : تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة ، بيروت، (١٨٧٥م) ، ص ٢١٤ و ٢٩٦ - ٢٩٨. والطرابلسي ، نوفل : سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان ، بيروت ، (١٨٧٦م) ، ص ١٤٦ - ١٥٠.

* انظر فقرة إنجيل متى ٤/١٠، وانجيل لوقا ٤/٨.

مَجْمعُ أفسس : خَطَبَ القسيسُ أنستاسيوس أحدُ قساوسة القسطنطينية خُطْبةً أنكرَ فيها تلقيبَ مريم بوالدةِ الإلهِ ، وقال : إنما هي أُمُّ المسيحِ ، وتابَعهُ على قولِهِ البطريرك نسطوريوس ، فأمَرَ الملِكُ ثيودوسيوس الثاني بعقْدِ مجمعٍ للنظرِ في هذا الشأن، فانعقدَ مجمعُ أفسس - وهو المجْمعُ المسكوني الثالث - سنة ٤٣١م بزعامة كيرللس بطريرك الإسكندرية ، وحضره مائتان من الأساقفةِ الغربيين ، وقبْلَ وصولِ الأساقفةِ الشرقيينَ حَكَمَ المجْمعُ على نسطوريوس وأتباعِهِ بالهرطقةِ ، ولمّا وَصَلَ الأساقفةُ الشرقيونَ إلى أفسس، اجتمعوا بزعامة يوحنّا الأنطاكي ، فعارضوا كيرللس ، وأيّدوا نسطوريوس في تحريمِ تلقيبِ مريمَ بوالدةِ الإلهِ، وتحريمِ وضْعِ الصوَرِ في الكنائس.

مجْمعُ القسطنطينية : انعقد هذا المجمعُ سنة ٧٥٤م ، بأمر الملِك قسطنطين الخامس بن لاون، وحضره ٣٣٨ أسْقُفاً من الشرقِ والغربِ ، واستمرّت المفاوضةُ ستةَ أشهرٍ، ثم أصدرَ حُكْمَهُ بتحريمِ استعمالِ الصورِ والتماثيلِ في العبادةِ مطْلقاً ، وتحريمِ طَلَبِ الشفاعةِ من العذراءِ مريمَ ، وأنّ ذلك مناقضٌ للديانةِ النصرانيةِ ويُعَدُّ رجوعاً إلى الوثنيةِ، فَقَبِلت الكنائسُ الشرقيةُ هذا الحُكْمَ، ورفضتْه كنيسةُ روما.

مجْمعُ جنتلي : وهي مدينةٌ قرب باريس ، انعقد فيها المجمعُ سنة ٧٦٧م ، فأيّدَ حُكْمَ مجْمعِ القسطنطينية في تحريمِ استعمالِ الصورِ والتماثيلِ في العبادةِ مطلقاً، وتحريمِ طلبِ الشفاعةِ من مريمَ العذراء أو غيرِها من القديسين.

مجْمعُ نيقية الثاني : كانت الملِكَةُ إيريني (إيرينا ) عاشقةَ الأصنامِ والصوَرِ ، وكان زوجُها الملكُ ليون الرابعُ يحاربُ عبادتهما واستعمالهما في الكنائسِ ، ولما اشتدّ النزاعُ بين مؤيدي حُكْمِ مجْمعِ القسطنطينية ومعارضيه ، تمكنتْ (إيرينا ) من قتْلِ زوجها بالسمّ، وعزلتْ بولسَ بطريركَ القسطنطينية ، ونصّبتْ مكانه طاراسيوس عاشقَ الأصنامِ مثلها، وأمرتْهُ بعقدِ مجْمعٍ لإقرارِ عبادةِ الصورِ والتماثيلِ ، فانعقدَ مجمعُ نيقيّة الثاني سنة ٧٨٧م ، وحضره ٣٧٧ أسْقُفاً من الغرب ، ولم يَحضُرْهُ أحدٌ من أساقفةِ المشرقِ، وبعد اجتماعهم ثمانيةَ عَشَرَ يومًا ، حَكَموا بوجوبِ استعمالِ الصورِ والتماثيلِ في الكنائسِ ، وجوازِ تقديمِ العبادةِ لها والتوسلِ بها ، فَقَبِلَتْ رومية حُكْمَ هذا المجمع، وأنكرهُ أهلُ فرنسا مدةً طويلةً ، ورفضتْه كنائسُ المشرقِ ، ثم إنّ الكنائسَ الشرقيةَ قَبِلت استعمالَ الصورِ دون التماثيلِ ، وأمّا الكنائس الغربية فقبلتْهما معًا من البداية ، ولم يزل هذا الفَرْقُ بينهما إلى يومنا الحاضر.

مجْمعُ فرانكفورت : عندما حَكَمَ المجْمعُ النيقاويُّ الثاني بوجوبِ استعمالِ الصوَرِ والتماثيلِ وجوازِ السجودِ لها ، ألّفَ المعلّمُ ألكونيوس كتابًا نَقَضَ فيه قرارَ المجْمعِ، وبرْهنَ من الكتابِ المقدسِ على أنّ السجودَ للأيقوناتِ فِعْلٌ محرّمٌ ، وتضمّن كتابُه رأْيَ جميعِ الأساقفةِ الإنكليز في ذلك العصرِ ، ثم أَرسلَ الكتابَ باسْمهم جميعًا إلى كارلوس الكبيرِ ملِكِ فرنسا، فَأَمَرَ الملِكُ بانعقادِ مجْمعٍ للنظرِ في حُكْمِ المجْمعِ النيقاويِّ الثاني، فانعقدَ مجْمعُ فرانكفورت سنة ٧٩٤م ، وكان فيه ثلاثُمائة أُسْقُفٍ من فرنسا وإيطاليا والنمسا، وأَصدر حُكْمَه بأنّ المجْمعَ النيقاويَّ الثاني غلط في شيئين :

أحدهما: رسْمه أنّ السجودَ للأيقوناتِ جائزٌ.

وثانيهما: قوله : إنّ هذه العادة هي حسب التقليد من الرسل (ويقصد بالرسل هنا: الحواريين ).

مجْمعُ باريس : انعقدَ هذا المجْمعُ في باريس سنة ٨٢٤-٨٢٥م ، في عصْرِ الملِكِ لويس المتقي اللهَ ، وحَكَمَ بما يلي : (( إنّ المجْمعَ النيقاويَّ الثاني ثَبّتَ العبادةَ الصُّوَرِيّةَ بخلافِ قوله تعالى وأقوالِ الآباءِ الأطهارِ)).

وذَكر المعلّمُ ميخائيل مشاقة : أنّ المجْمعَ الباريسيَّ حَرّمَ عبادةَ الأيقوناتِ غيْرَ أنه لمْ يأْذنْ بتكسيرِها ، ولعلّ هذا هو ما يُفهمُ من قولِ كرنيليوس فنديك بأنّ المجْمعَ الباريسيَّ حَكَمَ بوجوبِ الاحتراسِ مِن عبادةِ الصوَرِ على أيِّ نوعٍ كان .

## رأْيُ بعضِ الباباواتِ والأساقفةِ وكبارِ المعلّمين القُدامَى في عبادةِ الصورِ والتماثيل (١)

البابا أبيفانوس الذي كان يُلقِّبهُ إيرونيموس بـ (الطّاهر) ، كَتبَ رسالةً إلى يوحنّا أُسْقُفِ أورشليم يقول له فيها : (( إنني لمّا وصلْتُ إلى القريةِ التي تُدْعَى (أنابلاثا) وَجدْتُ عند دخولي الكنسيةَ سِتْرًا مُصَبّغاً مُلَوّناً ، وعليه صورةٌ كأنّها صورةُ

---

(١) بردكان ، إسحاق : الثلاث عشرة رسالة ، بيروت ، (١٨٤٩م) ، ص ١٩٢ - ٢٠٧.

المسيحِ وبعْضِ القديسينَ، فلمّا رأيتُ ذلك وهو بخلافِ الكتبِ المقدسةِ أنْ توجدَ صورةٌ مُعلقةٌ في كنيسةِ المسيحِ مزّقتُها ، وقلْتُ للحُرّاسِ : إنهُ كانَ الأوْلَى أن يُكفِّنوا بها أحَدَ الموتى ويدفنوها عن النظرِ، فالآنَ أرجوكَ أنْ تُوصِيَ مشيخةَ المكانِ أنهم فيما بعْدُ لا يُعلِّقون في كنيسةِ المسيحِ أستارًا مثْلَ هذه، لأنّ هذا مخالفٌ لديانتِنا )).

أوريجانوس كان يقول : (( إنّ الشيءَ الأول الذي نُعلِّمُهُ للداخلين في ديانتِنا هو أنهم يَرْفضونَ جميعَ الأصنامِ والصّوَرِ )) ، وعندما سأله سيسيليوسُ الوثنيُّ : أمَا لَكُمْ مذابحُ ولا هياكلُ ولا صُوَرُ ؟ أجاب : (( إننا نُعلِّمُ تلاميذَنا أنْ يَكْرَهوا جميعَ الصّوَرِ)).

إكليمنضوس الإسكندريُّ : كان يقول للوثنيين : (( إنّ الصناعاتِ قد غَشّتْكُم بغرورها ، فهي التي تَجْذبكم إلى أنْ تُكَرِّموا تماثيلَ وصورًا)).

القدّيسُ أغوستينوس قال : (( لا تقابلوني بما يَصْنَعُه القومُ الجهلاءُ الماثلونَ إلى الأباطيلِ ، لأنّي عَرفتُ كثيرينَ ممّن يَسْجُدونَ للقبورِ والصوَرِ )).

المعلِّمُ إيراسموس قال : (( إنه إلى أيامِ إيرونيموس الذي ماتَ في الجيلِ الخامسِ كان الناسُ ذَوي تَقْوى كالواجبِ ، لا يَحْملون أيقونةً مصوّرةً ، لا بالقلمِ ولا بالحِياكةِ، ولا منقوشةً في رخامٍ ولا غيرِه، ولو كانتْ صورةُ المسيحِ ذاتِه)).

المعلِّمُ بوليدوروس فرجيليوس كان يَستشهِدُ القدّيسَ إيرونيموس على أنّ غالب الآباءِ القدماءِ النصارى رفضوا السجودَ للأيقوناتِ خَوْفًا من العبادةِ الضِمْنيّةِ .

المعلِّمُ جيرلدوس قال : (( إنه لا يُمْكِنُني أنْ أتْرُكَ هذا ساكتًا عنه ، هكذا نحْنُ المسيحيينَ في الكنسيةِ المسمّاةِ بالأُولى كُنّا بلا أيقوناتٍ )).

المعلِّمُ كسندر الذي يُسَلِّم بالسجودِ للأيقوناتِ ، قال في صفحة ١٧٠ من كتاب (مشورات عن الأيقونات ): (( إنه لأَمْرٌ أكيدٌ أنّه لمّا كُرِزَ بالإنجيلِ أوّلاً لَمْ تَكُنْ

آيقوناتٌ بين المسيحيينَ وخاصةً في الكنائسِ ، وإنّ المجْمعَ النيقاويَّ الثاني بما أنّه رَسَمَ بجوازِ السجودِ للايقوناتِ كان مَحكوماً عليه بالغلطِ من الآباءِ في المجْمعِ الفرانكفورتي بصوتٍ واحدٍ، وذلك لأنَّه رَسَمَ هذا الرسْمَ ليس فقط بخلافِ الكتابِ المقدَّسِ والتقليداتِ الأُولى، بلْ ايضاً بخلافِ عادةِ الكنيسةِ الرومانية)).

المعلّم كرنيليوس اغريبا قال : (( إنّ العوائدَ الفاسدةَ من الوثنيين واعتقادَهم الباطلَ قد افسدتْ ديانتّنا ايضًا ، وآدخلتْ كنائسَنا آيقوناتٍ واصنامًا وآشياءَ كثيرةً غيرَها لا منْفعةَ لها ، ولمْ يوجدْ شيءٌ منها بيْن المسيحيينَ الأَولين)).

المعلّم اغوبردوس الذي رُسِمَ أُسْقُفًا في ليون بفرنسا بِرضى جميع الإكليروسيين قال عن مجْمع الفيرا في اسبانيا الذي حَرّم الأيقوناتِ : (( إنّ الاباءَ رَسموا هكذا لكيْ يَنْزِعوا من الساجدين للآيقوناتِ عبادتَهم الباطلةَ )).

وَرَفَضَ هذا المعلِّمُ حُكْمَ المجْمعِ النيقاويِّ الثاني ، وكان على رأيهِ جميعُ بلادِ فرنسا ، ومثله المعلّم هنكمارس من ريمس ، والمعلّم ادو من فينّا ، والمعلّم روجرهوفيدن ، وسيمون دونلمنيس ، وروبرت هلْكتْ ، والأخيران كانا معلّميْن في المدرسة العُظمى بإنجلترا سنة ١٣٥٠م.

وهكذا أقوال أخرى كثيرة يطولُ نَقْلُها ويصعبُ حَصْرُها ، قالها كِبارُ الآباءِ والمعلّمين النصارى القُدامى ، حرّموا فيها صناعةَ الصورِ والتماثيلِ والسجودَ لها ، اكتفي بذكر أسماءِ عشرةٍ منهم وهم : ترتوليانوس ، وأرنوبيوس ، وأبيفانيوس ، وإيريناوس ، وأكتافيوس ، ولكتنتيوس ، ونقولا إكليمنجس ، وامبروسيوس ، وأوسابيوس ، ويوحنّا فم الذهب.

## مُسْتَنَدُ المجْمعِ النيقاويّ الثاني

## في وجوبِ استعمالِ الصُّوَرِ والتماثيلِ وتجويزِ السجودِ لها

كَشَفَ عنْ هذا السَّندِ احدُ علماءِ النصارى فقال : إنّ آباءَ المجْمعِ النيقاوي الثاني الذين أباحوا بَلْ أوْجبوا عبادةَ الصوَر والتماثيلِ لمْ يَقْدروا أنْ يَسْتَنِدوا في حُكْمهم ذلك على شهادة أحد الآباء الذين كانوا قبْل الجيل الرابع، وإنما بنوا حُكْمهم على حكايات خرافية وقصص باطلة لا أصل لها ، اخترعها عوامُ الناسِ في الجيلِ السادسِ ، كاختراعهم حكايةَ الصورةِ التي أرسلها المسيحُ عليه السلام إلى الأبجرِ ملِك الرّها، والتي لمْ يُخْبِرْ عنها أحدٌ ولم يَسمعْ بها أحدٌ في مدةٍ سبعمائةِ سنةٍ بَعْد المسيحِ ، وبَقِيَتْ مخْتفيةً طِيلةَ هذهِ المدةِ إلى أنْ اكتشفها مجْمعُ نيقيّة الثاني ليبْنيَ عليها حُكْمَهُ ، والدليلُ الذي يُسْتدلُّ به على بُطلانِ هذهِ القصةِ ما يلي :

أرسلتْ الملكةُ قسطنطيا إلى أوسابيوس أسْقُفِّ قيسارية بفلسطين سنة ٣١٥م طالبةً منه صورةَ المخلِّصِ المسيحِ ؛ لأنّه كان مقيماً بفلسطين ، فأجابها الأسْقفُّ بأنه لا يجوز تصويرُ صورةِ المسيحِ ، وعندما مَرّ في بعضِ الأماكنِ وَوَجَد سِتْرًا عليه صورةُ المسيحِ، مزّقهُ وقال : ((إنّ مِثْلَ هذا الأمرِ عيْبٌ على الشعبِ المسيحيّ))(١).

وأمّا قولُ عُشّاقِ هذا المجْمعِ بأنّ لوقا الإنجيليّ كان مُصَوِّرًا وأنّه صَوّرَ صورةَ العذراءِ مريمَ ، فهذا أولُ مَن قالَهُ رَجلٌ اسمُه نيسفوروس كلستي في القرنِ الرابعِ عَشَرَ ولم يُسمعْ قَبْلَهُ ، ولا خِلافَ بيْن النصارى في أنّ لوقا كان طبيبًا ولمْ يكُنْ مُصوِّرًا ، ويُنسبُ إليه الإنجيلُ الثالثُ وسِفْرُ أعمالِ الرسُلِ، وليس فيهما ما يدلُّ على مُدّعاهم، وإذا ضُيّقَ عليهم في هذا المقامِ يَحتجّونَ بالتقليدِ فما مَدى صِحّةِ احتجاجِهم به؟.

---

(١) فنديك ، كرنيليوس : كشف الأباطيل في عبادة الصور والتماثيل، بيروت، (١٨٥٣م)، ص ١٩-٢١.

## التقليدُ قاعدةٌ باطلةٌ

وبما أنّه ثبت أنّ الكتبَ المقدّسةَ والمجامعَ حرّمتْ عبادةَ الصورِ والتماثيلِ في الكنائسِ، فلمْ يبْقَ لهم حُجّةٌ في عبادتها إلا الاعتمادُ على التقليدِ، وبهذا اعترفَ البطريركُ مكسيموسُ في جوابِهِ للمعلّمِ ميخائيل مشاقة فقال : (( إنّ الكتبَ المقدّسةَ هي قاعدةُ إيمانِنا ، ولكنها ليست القاعدةَ الوحيدةَ بل يُضافُ إليها التقليدُ الإلهيُّ الرسوليُّ ))(1)

وقد ذكرَ المعلّمُ ميخائيلُ مشاقة أنّ تعاليمَ الكنيسةِ الرومانيةِ مَبنيةٌ على قواعدَ ضعيفةٍ أكثرها مأخوذٌ من كلامِ الناسِ ، أو على قياسٍ سفْسَطيّ ، وإذا أسْندَتْ بعضَ تعاليمِها على الكتبِ المقدسةِ تَراها إمّا أنْ تكُونَ مسْتندةً على كلامٍ مبْهَمٍ ، وإمّا على تفسيرِ الآيةِ حسب هواها لا حسب مفادِ الآيةِ الواضحِ ، وأمّا اعتمادُها على التقليداتِ فَيَظهرُ بطلانُه بأدنى تَبصّرٍ ، لأنّه لو كان هذا التقليدُ صحيحًا لكانَ يوجَدُ له دليلٌ أو إشارةٌ أو مطابقةٌ أو قياسٌ من الكتبِ المقدسةِ ، أو بالأقلّ كان يوجَدُ عامًّا في جميعِ الكنائسِ في كلّ زمانٍ ومكانٍ ، ولمْ يَكنْ مَنْ يَطْعنُ عليه في الأجيالِ الأُولى القريبةِ العَهدِ من المسيحِ ، ولا كان احتاجَ الأمرُ إلى عقْدِ المجامعِ للنظرِ في هذا المعتقَدِ والعبادةِ.

فإذنْ يكونُ الاستنادُ إلى التقليدِ في إيجابِ عبادةِ مريمَ وسائرِ القديسينَ باطلاً ، لكنّ الكهنةَ يُموّهونَ على الشعبِ في وجوبها بِمَثَلٍ فاسدٍ يَضرِبونَهُ لهم، وهو أنّه كما لا يُمكِنُنا الوصول إلى السلطانِ أو الوالي إلاّ بالوساطةِ لكيْ تَقْدِرَ على قضاءِ حوائِجِنا، فهكذا تَلزمُنا هذه الوساطةُ عنداللهِ تعالى ؛ لأنّه أعظمُ مِنْ كلّ سلطانٍ ، وبوَساطةِ هؤلاءِ

(1) مشاقة ، ميخائيل : الدليل إلى طاعة الإنجيل ، بيروت ، (1849م) ، ص 22.

القِديسينَ المحبوبينَ من اللهِ يَقضِي حوائجَنا ، لأنَّه كما في السماءِ كذلك على الأرضِ(١) .

وهذا المَثلُ أيضًا فاسدٌ ويَقضِي العقلُ ببطلانِه.

## العقلُ يَحْكمُ ببُطْلانِ هذهِ العبادةِ

ذكرَ المعلّمُ ميخائيلُ مشاقة أنَّ تقديمَ التضرّعاتِ والتوسّلاتِ وسائرِ أنواعِ العبادةِ إلى القِديسينَ - الذين تَرْأَسُهم مريمُ - لكَيْ يُخلِّصونا ويشفونا من الأمراضِ يُضادُّ العقلَ من وجهين :

الوجه الأول: أنّ هؤلاءِ القِديسينَ أمواتٌ لا يَشعرون بما نطلبه منهم ، ولا يَسمعونَ ولا يُبصِرونَ، ولا يَعْلمونَ ما يحدثُ في الأرضِ ، لأنّهم بشَرٌ مثلنا ، وبرهانُه واضحٌ.
والوجه الثاني : أنّهم لا يَقْدرونَ على خَلاصِنا ، فلا يَجوزُ لنا أنْ نطلبَ ذلك منهم، فهم لا يمتلكون قُوّةَ الوجودِ في كلِّ مكانٍ في حياتهم فضلاً عن كونهم أمواتًا.

ولكنْ ما هو سِرُّ بقاءِ هذهِ العبادةِ في الكنائسِ البابويةِ الكاثوليكيةِ في العالَمِ الحاضرِ، رغم التقدّمِ العلميّ ؟ وعن هذا السؤالِ يُجيبُ مشاقةُ فيقول : (( أمّا الكهنةُ الموجودون في عصرِنا فَلِكَيْ يَجتذبوا عقولَ الشعبِ إلى طاعتهم والتمسّكِ بهم ، ويَستولوا على ضمائرِهم وأموالهم ، ويُوسّعوا دائرةَ سلطانهم ، يُسهّلون لهم طريقَ عبادةِ الملائكةِ والقِدّيسينَ حتى يستدرجوهم إلى عبادةِ البابا ، وبالتبعيّةِ يمتدُّ الاعتقادُ بالرؤساءِ والكهنةِ بل بأثوابهم أيضًا ، لأنني رأيتُ كثيرين يُقَبّلون ثوبَ الأسْقُفِ وحُلّةَ الكاهنِ ،

---

(١) مشاقة : المصدر السابق ص ١١ و ١٢ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٤٠ .
وبردكان ، إسحاق : الثلاث عشرة رسالة ، بيروت ، (١٨٤٩م) ، الرسالةالسابعة : (في الصلاة للقديسين ) ، ص ٢٢٩.

وأستارَ الصُّوَرِ ، حتى حجارةَ حيطانِ الكنائسِ ، وذلك بكلِّ توقيرٍ واحترامٍ كأنها عبادةٌ واجبةٌ )) (١).

وعندما صدر العدد ١٢ من النشرة البروتستانتية في بيروت سنة ١٨٧٣م ، وفيها إبطالٌ للاستغاثةِ بالقِديسينَ وطلبِ شفاعتِهم والسجودِ لصُوَرِهم ، تصدّى لهذهِ النشرةِ فانْ هام اليسوعي ، وردَّ عليها بفصليْن من كتابهِ (الكوكب الوضّاح في تاريخِ الإصلاح) ، هما الفصل ٢٨ و ٢٩، وجعل عنوانهما واحدًا بلفظ (في تكريم القديسين ) ، برّر فيهما جوازَ الاستغاثةِ بهم، وهاجمَ النشرةَ هجومًا شديدًا.(٢)

أمّا الخوري يوسف العلَم الماروني فصرّح بأنّه ليس للهراطقةِ أيَّةُ حُجةٍ في إبطالِ عبادةِ الصُّوَرِ، وانقل ما يلي من كلامِهِ بنصِّه حيث قال (٣) : (( مِنَ المعلومِ المحقَّقِ أنّه لا إلٰهَ غيرُ واحدٍ ، فإذًا ليس للوثنِ شيءٌ من الألوهيّةِ ، لأنَّ الوثنَ إنّما هو صورةُ شيءٍ كاذبٍ كصورةِ زيوس مثلاً ، وزيوس ليس بإلٰهٍ حقيقةً ، فمِنْ ثَمَّ يكونُ ما يُقرَّبُ للوثنِ لا شيءَ فيه مِن معنى الديانةِ والعبادةِ، اعلمْ أنَّ مشاكلةَ الهراطقةِ بيْن الصنمِ والصورةِ فاسدةٌ لا تُعينهم على إثباتِ ما يريدونهُ من إبطالِ عبادةِ الصُّوَرِ بحجةِ أنَّ حُكْمَها حُكْمُ الوثَنِ أو الصنمِ ، فإنَّ الوثنَ صورةُ شيءٍ كاذبٍ وهْميٍّ لا قيامَ له ، وأمّا الصورةُ فهي مثالُ شيءٍ حقيقيٍّ كائنٍ ، كما نبّهَ إليهِ القديسُ توما وبللر مينوس )).

---

(١) مشاقة ، ميخائيل : الدليل إلى طاعة الإنجيل ، بيروت ، (١٨٤٩م)، ص ١٣٧.
(٢) اليسوعي ، فانْ هام : الكوكب الوضاح في تاريخ الإصلاح ، بيروت ، مطبعة المرسلين اليسوعيين ، (١٨٧٦م) ، ص ٢٩٦ - ٣٠٣ .
(٣) العَلَم الماروني ، يوسف : تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ، بيروت،(١٨٧٣م)، ص ١٨٨، في تفسيره فقرة رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٨/٤ .

## تقسيمُ الكنائسِ بالنسبةِ لموقفِها من الصُّوَرِ والتماثيلِ(١)

بالنسبةِ لموقفِ الكنائسِ من الصورِ والتماثيلِ يمكنُ القولُ بأنها انقسمتْ إلى قسمين:

فالكنائسُ التي تُنادي برفضِ الصوَرِ والتماثيلِ في العبادةِ هي الكنائسُ الإنجيليةُ: وفي مقدّمتِها الكنيسةُ البروتستانتيةُ ، وهم فِرَقٌ كثيرةٌ ، أشهرُها أتْباعُ مارتن لوثر وأتْباعُ جون كلفن ، وتنتشرُ هذهِ الكنائسُ في ألمانيا والدانمارك والسويد وسويسرا وأمريكا، وجميعُها لا تعترفُ بالسُّلْطةِ الروحيةِ لبابا روما ولا لأَحدٍ غيرِه، وكلُّ فِرْقةٍ مستقلّةٌ بنفسِها.

وأما الكنائسُ الآخذةُ بالصورِ والتماثيلِ في طقوسِها وعبادتِها فكثيرةٌ جدًّا، وأكبرُها فرعانِ رئيسيان :

أ- الكنائسُ الكاثُوليكيّةُ : وهي التي تعترف بسُلْطةِ بابا روما الروحية، وتَتْبع له في كلِّ شيءٍ ، وتسمّي نفسَها : الكنيسةَ البطرسيةَ ، نِسْبة إلى بطرس الحواريّ ، ويُطْلَقُ عليها أيضًا : الكنيسةُ الغربيةُ، وتنتشِرُ في إيطاليا والنمسا وبلجيكا وفرنسا واسبانيا والبرتغال .

ب- الكنائسُ الأُرثوذكسيّةُ : ويُطْلَقُ عليها الكنيسةُ الشرقيةُ أو اليونانيةُ، وهي مجموعة الكنائس النصرانية التي قامتْ في شرقِ أوربا وجنوبِ غربِ آسيا، وتنتشِرُ في اليونان وروسيا والصرب (يوغوسلافيا وما جاورها ) ، وهي تشتركُ مع الكنيسةِ الغربيةِ الكاثوليكيةِ في كثيرٍ من التقليداتِ والعقائدِ، ولا يوجد بينهما خلافٌ يُعْتدُّ به ، لكنّها لا تعترفُ بالسُّلْطةِ الروحية لبابا روما، وكنائسُها عادةً تكون مربعة الشكْلِ وبداخلها حاجزٌ من خَشَبٍ أو رُخامٍ مُزْدانٍ بالأيقوناتِ .

---

(١) الطرابلسي ، نوفل : سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان ،بيروت ، (١٨٧٦م)، ص ١٥٤-١٥٥. والموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان للطباعة والنشر، بيروت ، (١٤٠١هـ = ١٩٨١م)، ص ١١٢٢ و ١٤٨٧- ١٤٩٠.

ويوجَدُ لهذهِ الفروعِ الثلاثةِ الكبيرةِ أتْباعٌ في بلادِ الشرقِ وبلادِ العرَبِ، بنفسِ الأسماءِ السابقةِ أو بأسماءٍ أخرى ، ويظهرُ أنّ الكنائسَ الكاثوليكيةَ والأرثوذكسيةَ في بلادِ الشرقِ والعرَبِ يُقدِّسونَ الصورَ دُونَ التماثيلِ ، وهي نقطةُ خِلافِهم الدائمِ مع الكنائسِ الغربيةِ ( الكاثوليكيّة ) .

اتفاقُهم على عبادةِ مريمَ واختلافُهم في غيرِها[1]:

بما أنّ مريمَ رئيسةُ جميعِ القِدّيسينَ ووالدةُ الإلهِ ، لذلك وَجَدَتْ عِبادتُها قَبُولاً ورواجًا أكثر من غيرِها ، أمّا ما عداها فالاختلافُ فيهم حاصلٌ بين طوائفِ الكاثوليك ، فمثلاً :

الملِكُ قسطنطين الكبير : يَعتقِدُ الكاثوليكُ الشرقيونَ بقَداسَتِه ، ويَطلبونَ شفاعتَهُ، وأمّا الكاثوليكُ الرومانيون فلا يَقْبلونَهُ قِدّيسًا ، بَلْ يقولون: إنّه كان آريوسيًّا، ولهذا يَكُونُ هالِكًا .

يوحنا مارون : المارونيون يَعتقِدُون قَداسَةَ بطريركِهم الأول وجدِّهم يوحنا مارون، ويتخذونه شفيعًا خُصوصيًا لطائفتهم ، ويَطلبونَ شفاعتَه ومعونتَه مُقدِّمينَ إليه صَلَواتِهم وتضرّعاتِهم ، ويشيدون الكنائسَ على اسمِهِ. وأمّا الرومانيونَ مع باقي طوائفِ الكاثوليكِ فيعتقدون أنّ يوحنا مارون المذكورَ هو رأسُ المبتدعين الهراطقةِ في جبلِ لبنانَ ، وأنّه هالكٌ في جهنّمَ.

فهل نُصدِّقُ البطريركَ يوسفَ الخازنَ الذي يأمُرُ بتقديمِ التضرعاتِ إلى يوحنا مارون على أنّه مِن أعظمِ القِدّيسين ، أمْ نُصَدِّقُ البطريركَ مكسيموسَ مظلوم الذي قال بأنّ يوحنا مارون مِن رؤوسِ الهراطقةِ الهالكين ؟

والعجَبُ أنّ كِلا البطريركيْن المشار إليهما كاثوليكيانِ ، مرتبطانِ بإيمانٍ واحدٍ

(١) مشاقة، ميخائيل : الدليل إلى طاعة الإنجيل ، بيروت، (١٨٤٩م)، ص ١٤٣-١٤٥.

ويزعمُ كلٌّ منهما أنّ ما يَعتقِدُه هو هو نفسُه الذي تعتقِدُه عمومُ الكنيسةِ الكاثوليكيةِ في العالَمِ بأسْرِه التي يَرْأَسُها بابا روما.

ويتحدثُ موسهيم عن تاريخِ الكنيسةِ في القرنِ التاسعِ الميلاديِّ فيقول : (( وعِظَمُ جهالةِ هذا القرن وغباوتُه يَظْهَرانِ مِن حقيقةِ تقديمِ الإكرامِ الأعمَى المسرفِ للقِدِّيسينَ ولِعظامِهم وجُثَثِهم ، لأنَّ به قامَ أعظمُ جانبٍ من تَقْواهم وديانتِهم ، لأنّهم جميعًا آمنوا أنّ الله لا يصالِحُهم ما لمْ يكنْ لهم شفيعٌ ومحامٍ من القِدِّيسينَ الذينَ نالوا المجْدَ، وكلُّ كنيسةٍ بمفردِها ونحو كلِّ شخصٍ بمفردِه فتّشوا عن محامٍ خاصٍّ ومناسبٍ، خائفينَ مِنْ أنّ المُحامِيَ المشغولَ بتدبيرِ أُمورِ الآخرين يُهمِلُ أمورَهم إذا سلّموها له ، ولهذا اجتهدوا في تجديدِ المُحامينَ يوميًا )). (١)

ويَذْكُرُ ميخائيلُ مشاقة أنّه وَجدَ بعضَ طوائفِ من الكاثوليك تتخذُ أحَدَ قِدِّيسيها شفيعًا خصوصيًّا لها ، وتُقدّم إليه صَلَواتِها وتضرّعاتِها ، مع أنّ بقيةَ الطوائفِ الكاثوليكيينَ ليس فقط يُنكِرونَ قَداسةَ هذا الشفيعِ ، بَلْ وَيَحْكُمونَ عليهِ بأنّهُ هالكٌ في جهنَّمَ ، وأنه وَجدَ جُمْهورَ هذه الطوائفِ عُمومًا يَعتمدونَ قَداسةَ الآباءِ القُدماءِ مِثْل باسيليوس الكبيرِ ، وأُغوستينوس ، ويوحنا فم الذهب ، وغيرهم ، وكلّ فرقةٍ منهم تدّعي أنّ هؤلاء الآباء كانوا يَعتقدونَ معتَقَدَها ، فهلْ يُمكنُ أنْ يكونَ معتَقَدُ هؤلاءِ الآباءِ مطابقًا لجميعِ هذهِ المُعْتَقَداتِ المختلفةِ المتناقضةِ؟

في جوابهِ على هذا السؤالِ يقولُ بأنّهُ رَجَعَ إلى مُطالعةِ ما تَيسّرَ من كُتبِهم، فَوَجَدَ أنّه لمْ يكنْ عندهم جميعُ المعقتداتِ المختلَف عليها بين الطوائفِ ، وأنّ الذي اختلفتْ فيه الطوائفُ هو عقائدُ مُحْدَثَةٌ قد ألحقتْها بعضُ الكنائسِ في الأجيالِ المتأخرةِ، وبسببها وقعَ الانشقاقُ لعدمِ التسليمِ بها من العمومِ ، وهذه المُلْحَقاتُ قد تزايدتْ مع تَمادي الأجيالِ حتى طَفَحتْ على العقائدِ الأصليةِ وغطّتْها ، وأنّ كلَّ ما كان يراهُ من مُعْتَقَداتِ النصارى

---

(١) موسهيم ، يوحنا لورنس : تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة ، بيروت، المطبعة الأمريكانية ، (١٨٧٥م)، ص ٣٢١.

كالخرافاتِ وكان يُثبتُ عندَهُ فَسادَ الديانةِ النصرانية جميعُهُ لمْ يكنْ له حقيقة في أصلِ المعتقدِ النصراني بلْ هو من الاختراعاتِ الإكليروسيّةِ[1] المضادّةِ لروحِ الديانةِ، وهي قد أُلحِقتْ مِنَ الرؤساءِ شيئًا فشيئًا لأجْلِ توسيعِ سلطانِهم ، واستيلائِهم على ضمائرِ الناسِ، وبالجُملةِ فإنّ إضافاتِهم هذهِ التي أوْهموا الناسَ أنّها مِنْ قواعدِ الديانةِ وألزموهم بحفظِها والاعتقادِ بها ، هي نفسها صارتْ فَخًّا للشيطانِ يَصطادُ به أنفُسَ النصارى، ولولا هذهِ الزياداتُ الفاحشةُ ، لبقيَت الديانة النصرانية تتلألأُ في بهائِها القديمِ ، وامتنعت الأرتقاتُ ،وانقطعتْ حُجّةُ مَنْ يَطْعنُ عليها لوجودِ هذهِ الخرافاتِ فيها، وانتفت الوساسُ من ضمائرِ النصارى الذين ربّما هَلَكَ كثيرونَ منهم بسببِها[2].

## جوابُ عُبّادِ مريمَ للمعترِضِ عليهم

إذا اعتُرِضَ على أتْباعِ الكنيسةِ الرومانيةِ بأنّ عبادةَ مريمَ عبادةٌ صَنَميّةٌ وثَنيّةٌ يكونُ جوابُهم كما يلي :

إنّنا لا نَعْبُدُ هذهِ الصورةَ عبادةً مطْلَقةً - بل نكرمها بعبادةٍ تَقَويّةٍ إكرامًا عائدًا إلى عنصرِها لكونها والدةَ الإلهِ المسيحِ، فإكرامُها يَرجعُ إلى المسيحِ المُخَلِّصِ نفسِهِ ، وأمّا السجودُ بالعبادةِ المطْلَقةِ فلا نُقَدِّمُهُ إلاّ نحو خَشَبةِ الصليبِ التي ارتفعَ عليها المُخَلِّصُ ، ونحو تصاويرِهِ المقدّسَةِ وتصاويرِ الآبِ الأزليِّ والروحِ القدُسِ ، لأنّ عنصرَها هو اللهُ تعالى ، ونحنُ نَسْجدُ له سجودَ العبادةِ ، فهكذا يَلزمُنا أنْ نَسْجدَ نحو تماثيلِهِ وصُوَرِهِ.

قال المعلّمُ ميخائيلُ مشاقة في اعترافِهِ : (( ولكنّ التصرّفَ العامّ في الكنائسِ بخلافِ ذلك ، لأنّ العامّةَ يُقدِّمونَ أنواعَ العبادةِ المطْلَقةِ نحو جميعِ صورِ القِدّيسينَ بدونِ

---

(١) الإكليروس : هم طَبَقَةُ رجالِ الدينِ النصارى العاملون في الكنائسِ مثل الباباواتِ والبطاركةِ والأساقفةِ.

(٢) مشاقة ، ميخائيل : الدليل إلى طاعة الإنجيل ، بيروت،(١٨٤٩م)، ص ١٠-١٢.

استثناءٍ ، لا بَلْ يُوقِّرونَ صورةَ مريمَ العذراء أكثر من صورةِ المخلِّص ، ويَنْذرون النُّذورَ لنفسِ صورتِها ، ويأخذونَ سِتْرَ رأسِها ويَضعونَهُ على رؤوسِ المرْضَى طَلبًا للشِّفاء، ولا يَفعلونَ ذلك مع صورةِ المخلِّصِ ، وجميعُ هذهِ الأعمالِ بمشاهدةِ القُسوسِ والمَطارِنةِ مُرْشِديهم، ولا يُوجَدُ منهم مَنْ ينهاهم عنها )) (١).

وفي رأيه أَنَّ المشجِّعَ على رَواجِ هذهِ العبادةِ الباطلةِ وتَلفيقِ الأكاذيبِ أمرانِ :

الأول : غَفْلةُ الشعْبِ ، واعتقادُهم وَهْمًا بطَبَقَةِ الإكليروس أنّهم خُلَفاءُ الرسُلِ ، وأنّهُ يَجِبُ تَصْديقُهم وتَحْرمُ مُخَالفتُهم .

والثاني : منْعُهم الشعبَ عن مطالعةِ الكتُبِ المقدَّسةِ وعن الوقوفِ على كُتُبِ أضدادِهم الذين يُنَبِّهون الراقدين من غفلتِهم لكيْ يُبْصروا الحقَّ.

ثم قال : (( وبهذهِ الوسيلةِ قدْ وَضَعُوا اللُّجُمَ في أفواهِ الرَّعيَّةِ وركِبُوا على ظُهورِهم، وسَاقُوهم إلى حيثما أرادوا ، وقَبَضُوا بأيديهم سَوْطًا جَهَنَّميًّا حتّى كلّ مَنْ يَرفُضُ أو يَتَأَخَّرُ عن السُّلوكِ في طَريقِهم كما يُريدُونَ بِدونِ أدْنى مُعَارَضةٍ يَجْلِدُونَهُ بِهِ مِن غَيْرِ شَفَقةٍ، تَأْديبًا له وَعِبْرةً لِغَيْرِهِ )) (٢).

## نوعُ العبادةِ المقدَّمةِ في كنائسِ روميةَ:

إنّ كنيسةَ رومية ومَن يَجْري مَجْراها تَستعمِلُ دائمًا في هَياكِلها التماثيلَ والصورَ لكَيْ تقدِّم لها أنواعَ العبادةِ كالتبخيرِ وكَشْفِ الرأسِ وإحنائهِ لها ، وتقبيلِها وإيقادِ الشموعِ والقناديلِ ، وقَرْعِ الصدورِ والسجودِ أمامَها، وتغطيتِها بأستارٍ مُزَرْكَشةٍ ، وطَلبِ المعونةِ منها التي لا يَنبغي أنْ تُطْلَبَ إلاّ مِن اللهِ وَحْده ، وتُصلّي لها ، وتتضرّعُ إليها وتَطْلُبُ منها الشِّفاءَ مِن الأمراضِ الجَسديَّةِ والروحيَّةِ، والحِمايةَ والصيانةَ مِن الناسِ ومِن الشيطانِ،

---

(١) مشاقة ، ميخائيل:الدليل إلى طاعة الإنجيل ، بيروت، (١٨٤٩م)، ص ١١٣-١١٤.

(٢) مشاقة ، ميخائيل:الدليل إلى طاعة الإنجيل ، بيروت ، (١٨٤٩م)، ص ١١٩.

والشفاعةَ في خَلاصِ النفسِ من عذاباتِ جَهنَّم، بَلْ إنّهم يقولون لمريمَ ولبعضِ القِدّيسينَ نفْسَ الأقوالِ التي تُقالُ لله تعالى [1]

وكلامُ القِدّيسِ أبيفانوس صريحٌ في أنّ مريمَ كان يُسْجَدُ لها في الكنائسِ سُجودُ عبادةٍ ، فهو يقول معترِضًا : (( فأيّ كتابٍ من الكتب أخبرنا ، ومَنْ مِن الأنبياءِ أوْصانا أنْ نَسْجُدَ لإنسانٍ ؟ لأنّه واضح أنـّه إذا كان اللهُ لا يَرْضَى أنْ نسجدَ للملائكةِ ، فكم بالحريّ لابْنةِ حَنّة))(٢).

وقد اتسعتْ عبادةُ مريمَ في القرنِ العاشرِ الميلاديّ أكثر مِن قَبْل ، ونحو ختام هذا القرن، غَلَبَتْ عادةُ اللاتينيين أنْ يُقدِّسوا قداديس ويمتنعوا عن أكلِ اللحومِ في أيامِ السبتِ إكرامًا للقِدّيسةِ مريمَ، وغَلَبَتْ وظيفةُ مريمَ اليوميةُ التي يسمّيها اللاتينيون: الوظيفةَ الصغْرى ، وثَبَّتها بعدئذٍ أوربان الثاني بتلاوةِ الصلاةِ الربانيةِ خمسَ عَشْرةَ مرّةً، والسلامِ للقِدّيسةِ مريمَ مئة وخمسين مرّةً ، وأمّا إكليلُ مريمَ فبتلاوةِ الصلاةِ الربانيةِ ست مراتٍ أو سبع مراتٍ ، والسلام ستين مرّة أو سبعين مرّة حسبَ العمرِ الذي ينسبه المؤلفون المتنوعون للقِدّيسةِ مريمَ [3] .

ولا أحَدَ من عُشّاقِ الصوَرِ يُخالفُ في قَداسةِ مريمَ ، ووجوبِ تقديمِ العبادةِ لها ، ولهم في ذلك تعليلات أهمّها [4]:

---

(١) مشاقة، ميخائيل : الدليل إلى طاعة الإنجيل، بيروت، (١٨٤٩م)، ص١١٢ و١٢٧.
وفنديك، كرنيليوس : كشف الأباطيل في عبادة الصور والتماثيل ، بيروت، (١٨٥٣م)، ص ٢٦.

(٢) بردكان، إسحاق : الثلاث عشرة رسالة ، بيروت ، (١٨٤٩م)، ص٢٢٥-٢٣٦.
ونَسَبَ مريم هنا إلى أُمّها حَنّة بنتِ فاقوذ زوجة عمران بن ماثان.

(٣) موسهيم ، يوحنا لورنس : تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، بيروت،المطبعة الأمريكانية ، (١٨٧٥م)، ص ٣٦٢.

(٤) بردكان ، إسحاق : الثلاث عشرة رسالة ، بيروت ، (١٨٤٩م) ، الرسالة الرابعة بعنوان : في الشفيع الواحد، وهذه الرسالة أيضًا ملحقة بكتاب كرنيليوس فنديك:كشف الأباطيل في عبادة الصور والتماثيل، بيروت، (١٨٥٣م)، ص٢٧-٣٨.

إنّ برتردوس يقولُ كما يقولُ المعلِّمُ جبرائيلُ بيل قَبْله : إنّ سبيلَنا أنْ نلتجِىءَ مِن عدْلِ المسيحِ إلى رحمةِ أمّه.

والمعلّمُ انطانيوس أسْقُفُ فيورنتيا يقولُ : إنّ الذي تطْلِعُ عليهِ مريمُ وتطْلُبُ لأجْلهِ فمن الضرورةِ أنْ يتبرّرَ ويَخْلُصَ .

وأيضاً يقولُ : كيف يمْكنُ للخاطىءِ أنْ يتقرّبَ إلى المسيحِ كشفيعٍ ، لأنّ الصِدّيقَ هيهات أنْ يكونَ ناجيًا من خَطَرِ قُدّامهُ ، ولذلك قدّسَ اللهُ لنا شفيعةً وديعةً عذْبةً لا يُوجَدُ فيها مَلَفٌ ولا كَثافةٌ.

ويقولُ أيضًا هذا المعلِّمُ في تفسيره فقرةَ الرسالةِ إلى العبرانيين ٤/١٦[1]: إنّ مريمَ هي الكرسيُّ كرسيُّ النعمةِ ، فلذلكَ نتقرّبُ إليها لندركَ الرحمةَ .

وفي كتابِ ليفوري في مَجْدِ مريمَ تُوجدُ هذه الشهادةُ من مار انطونيوس : إنّ كلَّ نعمةٍ جاءتْ إلى هذا العالَمِ قد خرجتْ من السماءِ بوساطةِ مريمَ .

وهذا المعلّمُ ليفوري يَستشهدُ القِديسَ جرمانوس وغيرَهُ لكَيْ يُثْبِتَ أنه لا أحَدَ يَخْلُص إلّا بمريمَ.

وفي مزاميرِ مريمَ المطبوعةِ في باريس وفي بنيديك ولبزك يوجد هذا الكلام : تعالَوْا إلى مريمَ يا جميع المتعوبين وثَقِيلي الأحمالِ وهي تُريحُكُم .

---

(١) نصُّ فقرةِ الرسالةِ إلى العبرانيين ٤/١٦ في طبعة سنة ١٨٢٣م، كما يلي : (( فَلْنتقرّب الآن مطْمئِنّينَ إلى كرسيّ النعمةِ لندْرِكَ الرحمةَ ونَجِدَ النعمةَ عَوْنًا لنا في زمانٍ واجب )).
وأمّا نصّها في طبعة سنة ١٨٢٥م كما يلي : ((فَلْنتجاسر بالتقرّبِ إلى كرسيّ النعمةِ لننالَ الرحمةَ ونُصِيبَ من النعمةِ ما يساعدُنا في وقتِ الحاجةِ)).
ونصّها في طبعة سنة ١٨٦٥م وسائر الطبعاتِ الحديثةِ المنقولة عنها كما يلي: (( فلْنتقدّم بثقةٍ إلى عرشِ النعمةِ لكَيْ ننالَ رحمةً ونجدَ نعمةً عَوْنًا في حينِهِ)).
وقريبٌ من هذه المعاني ما في سائر الطبعات.

ويقولون جميعًا : إنَّ أيَّ إنسانٍ طالَما يكونُ غيرَ ملتجئٍ إلى شفاعةِ الدائمةِ الطوبى والدةِ اللهِ مريمَ لا تزالُ ممنوعةً عنه النِّعَمُ الإلهيَّةُ ، ولا يَبْرَحُ عادِمَ الخَلاصِ.

ولذلك لا غرابةَ أنْ يُخَطِّىءَ الكاثوليكُ ترجمةَ البروتستانت في فقرةِ إنجيلِ لوقا ٢٨/١، لاعتقادِهم أنَّ هذهِ الترجمةَ تنفي أُلوهيةَ مريمَ، أمّا ترجمةُ الكاثوليك للفقرةِ المذكورةِ، فتُعينهم على استنباطِ أُلوهيةِ مريمَ، ويظنّون أنها مُسْتندُهم الراسخُ لذلك ، فما هو هذا المُسْتَنَدُ وكيفَ يُتَرْجِمُها كِلا الفريقيْن ؟

## مُسْتَنَدُ مُؤَلِّهِي مَرْيَمَ :

لا يُوجَدُ لِمؤلِّهي مريمَ سندٌ من كُتبِهم إلا فقرةُ إنجيلِ لوقا ٢٨/١، وهذه الفقرة لم تَرِدْ عند الإنجيليين الآخَرين ، ونصُّها في طبعةِ البروتستانت سنة ١٨٦٥م وسائرِ الطبعاتِ الحديثةِ المنقولةِ عنها كما يلي :

(( فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ : سَلاَمٌ لَكِ أيتُها المُنْعَمُ عَلَيْها . الرَّبُّ مَعَكِ. مُبارَكَةٌ أَنْتِ في النِّساءِ )).

ومِثْلُها بلفظِ (المُنْعَمِ عليها ) نصُّ طبعةِ سنة ١٨٢٥م . أما نصُّ الفقرةِ المذكورةِ في الطبعاتِ التي يُؤَيِّدُها الكاثوليكُ فكما يلي :

ففي طبعةِ سنةِ ١٨٢٣م : (( فلمّا دَخَلَ إليْها المَلاَكُ قَالَ لَها : السَّلامُ لَكِ يا مُمْتَلِيَةً نِعْمةً . الربُّ مَعَكِ . مُبَارَكَةٌ أَنتِ في النِّساءِ )). ومِثْلُها بلفظ ( يا مُمْتَلِيَةً نِعْمةً) نصُّ طبعةِ سنةِ ١٨٨٢م.

وفي ترجمةِ اللاتين المطبوعةِ سنة ١٩٨٢م بلفظ (أَيَّتُها المُمْتَلِئَةُ نِعْمةً ) .

فَكَيْفَ يُخطِّئُ الكاثوليكُ الترجمةَ البروتستانتيةَ ؟ وكيفَ يُدافِعون عن أُلوهيّةِ مريمَ ضِدّ خُصومِهم ؟

لقدْ تكفّلَ بالإجابةِ عن ذلكَ الأبُ اليسوعيُّ [1] ، فذكَر أنَّ يَدَ التلاعبِ والتحريفِ البروتستانتيةَ قد مسّتْ أخصَّ آيةٍ أنزلها اللهُ تأييدًا لعقيدةِ الإيمانِ الكاثوليكيّ، وأنّ المترجِمَ البيْروتيَّ قد أفسدَ معنى هذهِ الآيةِ التي فَاهَ بها مَلاكُ اللهِ جبريلُ نحو مريمَ الطاهرة إذْ قال لها (السلامُ عليكِ يا ممتليةً نعمةً ) ، فالامتلاءُ من النعمةِ خاصٌّ بالأمِّ الإلٰهيةِ ، وامتيازٌ عظيمٌ لها ، وهذه التحيةُ الملائكيّةُ تتضمّنُ من المعاني أعمقَها وأسماها، وهذه الصفةُ الجليلةُ والسِّمةُ النبيلةُ (يا ممتلئةً نِعمةً ) : لَقَبٌ امتازتْ بهِ أمُّ الإلٰهِ المغبوطةُ ، ولكنَّ إنجيلَ البروتستانتِ اتّقَحَ فَمَحَا آثارَ هذه السِّمةِ النبيلةِ الفريدةِ من الوديعةِ المقدّسةِ ، والكاثوليكُ لا يَرْتابون في صِحّةِ الآيةِ ولا في ثبوتِ عبادةِ مريمَ المملوءةِ نِعمةً على مَرِّ الأجيالِ ، فالآثارُ التي تَرَكها سَلَفُهم في المعابدِ والبِيَعِ والأدْيرةِ والصوامعِ ، وما فيها من هياكلِ مريمَ ، وأنواعُ التسبيحاتِ المقدّمة لها آناءَ الليلِ وأطرافَ النهارِ ، وهيامُ القلوبِ بحُبِّ الأمِّ الإلٰهيةِ الممتلئةِ نِعمةً ، كلُّ ذلك يَعُدّونه دليلاً على ثبوتِ تقديمِ العباداتِ بأنواعها المختلفةِ لوالدةِ الإلٰهِ مريمَ البتولِ ،منذُ الأعصارِ الرسوليةِ والأزمنةِ الإنجيليةِ ، أيْ من القرنِ الميلاديّ الأولِ ، ولذلك كُتِبتْ هذه اللفظةُ (يا ممتلئةً نعمةً ) في نُسْخةِ الفولكاتا وفي الترجمةِ السُّريانيةِ ، وفي الترجمةِ الفارسيةِ، وفي الترجمةِ العربيةِ القديمةِ التي اعتمدّها والطون في مجموعةِ الكتابِ المقدّسِ بلغاتٍ مختلفةٍ[2].

ويحتجّ البروتستانتُ في قولهم (المنعَم عليها ) ضدَّ الكاثوليكِ القائلين (يا ممتلئةً نعمةً ) ، فيقولون : إنّ السلامَ الملائكيَّ على مريمَ لم يَذكرْهُ إلّا لوقا وَحْدَهُ الذي كَتبَ إنجيلَهُ باليونانيةِ المستعْمَلَةِ في المشرقِ ، ونصُّهُ في اللغةِ اليونانيةِ معناهُ (المنعَم عليها ) ، أي بالفعلِ اليونانيّ المتعدّي الذي معناهُ أَنْعَمَ ، واسمُ المفعولِ منه (منعَم عليه ) ، وليس معناهُ (نِعمة ) ، فكلمةُ (ممتلئة نِعمةً ) لا أَصْلَ لها في

---

(١) اليسوعي ، يوسف فان هام : كشف التلاعب والتحريف في مسّ بعض آيات الكتاب الشريف ، بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، (١٨٧٢م)، الفصل الثامن ص ٥٩-٧٧.

(٢) اليسوعي، يوسف فان هام : المصدر السابق ص ٥٩-٦٠ و ص ٧٠ .

المتنِ اليونانيّ ، وإنْ هي إلاّ إلحاقٌ زائدٌ على المتْنِ ، ولا عِبْرةَ بما في نُسْخةِ الفولكاتا ونُسَخٍ أُخرى غيرِها قديمةٍ التي ورد فيها لفظُ (ممتلئة)، لأنَّ هذا اللفظَ لا وجودَ له في الأصلِ اليونانيّ ، وتلك النُّسَخ متأخرة عن الأصلِ ، فيكون عُبّادُ مريمَ هم الذين أدخلوا لفظَ (ممتلئة ) في تلك النُّسَخِ تأييدًا لعقائدِهم [١].

ولكنّ الكاثوليكَ يَرفضونَ صِحّةَ احتجاجِ البروتستانت عليهم ، ويقولون: إنَّ البروتستانت ألْغوا من ترجمتِهم كلمةَ (ممتلئة نعمةً ) لأنّها لمْ تكنْ موافقةً لإدْراكِهم، ولمحاربةِ العقائدِ الكاثوليكيةِ ، فإنّ لفظَ (المنعَم عليها ) الذي في ترجمتِهم والذي يدّعونَ أنّه موافقٌ للأصلِ اليونانيّ ، يَجعلُ مريمَ والدةَ الإلٰهِ لا امتيازَ لها البتّةَ ، ولا فرْقَ بينها وبين أيّ إنسانٍ آخر من عمومِ المؤمنين ، فهي (منعَمٌ عليها ) نظيرُهم ، والكاثوليكُ إنّما يتمسّكون بلفظ (ممتلئة نعمةً ) لأنّ أصْلَ اللفظِ اليونانيّ معناه مغمورة بالنعمةِ أو مملوءة بالنعمةِ ، والصيغةُ التي ورد فيها الفعلُ اليونانيُّ تدلّ على التغميرِ والمِلْءِ ، ويَستنِدونَ في ذلك إلى تحقيقِ فَالِكْنار البروتستانتيّ الشهيرِ بمعرفةِ اللغةِ اليونانيةِ ، وكان مُدرّساً لها في كليةِ ليدن إحدى مدن هولاندة ، فهذا المحقِّقُ الشهيرُ قد قَابَلَ جميعَ الترجماتِ القديمةِ والحديثةِ ورجّح صِحّةَ ما في نسخةِ الفولكاتا الكاثوليكية ، وقال : إنها تَرجمت الآيةَ أصدقَ وأحقَّ ترجمةٍ وِفاقاً للأصْلِ ، وَوَضَعَها (ممتلئة نِعمةً ) في تفسيرِهِ تتميماً للمعنى المقصودِ في اللفظةِ اليونانيةِ ، قال فَانْ هام اليسوعيُّ بعد تأْييدِهِ لتحقيقِ فَالِكْنار : (( لَعمري إنّ شهادةَ مِثْل هذا الرجل الذي أفنى حياتَه بالعلومِ ، وحازَ التقدُّمَ على جميعِ عُلمائهم باليونانيةِ ، مما يُوعبُ القلبَ سُرورًا لا سِيَّما في مسألةٍ تُعلّقُ عليها أخصّ امتيازاتِ والدةِ الإلٰهِ الطاهرةِ)) [٢].

---

(١) اليسوعي ، يوسف فان هام : كشف التلاعب والتحريف في مسّ بعض آيات الكتاب الشريف، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين ، (١٨٧٢م) ، ص ٦٣.

(٢) اليسوعي ، فان هام : كشف التلاعب والتحريف في مسّ بعض آيات الكتاب الشريف، بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، (١٨٧٢م) ، ص ٦٤-٦٥.

## استشهادُ الكاثوليكِ بالطَّقْسِ :

ويحتجُّ الكاثوليكُ أيضاً على صِحّةِ عبادتِهم مريمَ، ببعضِ طقوسِ الصلاةِ الشرقيةِ، لأنَّ استشهادَ الطقْسِ شهادةُ عمومِ الأُمةِ كلِّها التي اعتمدتْ على ذلك الطقْسِ ، وليستْ بشهادةِ الفردِ ، فالأُمةُ جميعًا أبرزتْ بذلك إيمانَها وما كان ركْناً للصلاة كان ركْناً للإيمان، وينسبون إلى القديس يعقوب أَسْقُفّ أورشليم الأول أنهم كانوا يُصلّون في أورشليم وسائرِ أقطارِ سورية بتحيّتهم البتولَ وذِكْرهم مِلءَ النعمةِ كما يلي : (( فَلَكِ يا ممتلئةً نِعمةً قد بادَرتْ كلُّ خليقةٍ بتأديةِ فروضِ التهاني طغماتُ الملائكةِ كافة وبنو البشرِ أجمعون. فإنكِ أنتِ ذلك الهيكلُ المقدّسُ ، والفِردوسُ الروحيّ ، ومجدُ العذارى ، فمنكِ أرادَ الإلهُ أنْ يتّخذَ لَحْماً بتجسّدهِ . ثم كرّروا المقالَ صارخين : فيكِ يا ممتلئةً نِعْمةً سُرّتْ كلُّ خليقةٍ وهنّأتْ نفسَها بالأفراحِ)) (١).

أمّا الكنيسةُ القبطيةُ في مِصْرَ فتصْرُخُ قائلةً : (( السلامُ عليكِ يا ممتلئةً نعمةً، يا بَتولاً بغيرِ عيبٍ ، يا قبّةً مصنوعةً بدون وساطةِ بشَرٍ يا كنزَ الحقِّ )) (٢).

وأمّا الكنيسةُ اليونانيةُ فتصْرُخُ قائلةً : (( لمّا رآكِ المَلاكُ جِبرائيلُ مملوءةً كلَّ المِلءِ من الروح القدُسِ حيّاكِ قائلاً : يا ممتلئةً نعمةً . إنّي أُحيّيكِ لأنّكِ ضَمْحَلْتِ اللعنةَ وأصلحتِ زَلّةَ أبوينا الأولينْ )) (٣).

وأمّا رسولُ الأُمّةِ السُّريانية أفرامُ الذي كان يُدْعى : كينار روح الله القدوس ، فكان يقول في ترتيلهِ على آلامِ المسيحِ عدد ٦ : (( المجدُ لكِ يا بتولاً نقيةً لا دَنَسَ فيها ، أمّ الله المكوّنة بغيرِ عيبٍ ، يا رجاءَ البائسينَ ومَنْ ليس لهم رَجاءٌ . فإنّنا نباركُكِ يا ممتلئةً نعمةً كلّ الامتلاءِ)).

---

(١) اليسوعي ، فَانْ هام : المصدر السابق ص ٧٠ ، راجع السمعاني في كتابه على الطقوس ، كتاب ٥ وجه ٦.

(٢) اليسوعي فَانْ هام : المصدر السابق ص ٧١ ، راجع بساليا في مجموعه على الحبل بلا دنس وجد ١٠٧٥.

(٣) المصدر السابق ص ٧١، وجه ١٠٤١.

ومثلهُ القديسُ صفرونيوس - أحدُ أركانِ الكنيسةِ اليونانيةِ ودمشقُ مَسْقِطُ رأسِه - فله خطابٌ على بشارةِ العذراءِ موجودٌ في مكتبةِ الفاتيكان ، يبيّن فيه مدى حرارةِ حُبّهِ المتّقدِ السعيرِ نحو والدةِ الإلهِ ، وما كان يُعلّم به شعوبَه عن امتيازاتِها المتضمنةِ في مِلءِ النِعمةِ ، ولذلك استنارت الكنيسةُ بخطابِه في بثّها أقوالَ الآباءِ على عقيدةِ الحَبلِ بلا دَنَسٍ ، لأنّ خِطابَهُ كلّهُ يدورُ على مِلءِ النّعمةِ المقدّسةِ المنادَى به من المَلاكِ، والدالّ على الامتيازِ الرفيعِ المختصّ بوالدةِ الإلهِ المجيدةِ ، ومما جاء في خطابه :(( أيْ نَعَم قد وُجِد أناسٌ غيرُكِ قبْلكِ كثيرون ، وامتازوا بقداسةٍ عظيمةٍ ، لكنْ لم يَقْبل أحدٌ سواكِ مِلءَ النعمةِ ، فلذا قد جئتُكِ مخاطباً : السلامُ عليكِ يا ممتلئةً نعمةً ، لأنّه ما بيْن جميعِ المخلوقاتِ لم توجد خليقةٌ قد غمرتْها النّعمةُ نظيركِ )) [1].

وبهذا نرى أنّ الكاثوليكَ يحتجّون لعبادتِهم مريمَ بما في ترجمةِ بعضِ النُسَخِ وبالطقوسِ ، وليس لهم حُجةٌ غير ذلك ، والواقع أنّه احتجاجٌ لا يَصْمدُ أمامَ حجّةِ البروتستانت الدامغةِ ، ولكنْ التعصّبُ لتقاليدِ الآباءِ صَرَفَهم عن الحقّ الواضحِ ، وأضرب مَثَلاً لتعصّبِ أحدِ عُلمائهم الكِبار إذْ يقول : (( فقد اتّضحَ ممّا تقدّمَ بأنّ النُسْخةَ القديمةَ والطقوسَ القديمةَ والمعاصِرةَ عهْدَ الرسُلِ الكِرامِ قد فاهتْ دائماً بتلك الألفاظِ الجليلةِ وهي : مِلءِ النعمة التي حَيّا بها المَلاكُ جبرائيلُ أمَةَ الربِّ مريمَ والدةَ الإلهِ ، فإذا كان ذلك فكيف يسوغُ لإنجيليّي بيروت أنْ يُلاشوا هذه الصفةَ الجليلةَ والامتيازَ الكريمَ الذي مَيّزَ به تعالى مريمَ والدةَ الإلهِ المجيدةَ )) [2].

ثم ذَكَر هذا العالِمُ الكبيرُ أنه بعد هذه الشواهد لا سبيلَ لإنسانٍ أن يرتابَ بصفةِ والدةِ الإلهِ الفريدةِ ، وطلبَ من أبناءِ بيعةِ اللهِ المقدّسةِ (ويَقْصِدُ الكاثوليكَ ) أنْ يتمسّكوا في مخاطبةِ أمّ الإلهِ بتلك الكلماتِ التي خصّها اللهُ بها ، وألقاها على فَمِ رسولِه السماويّ ، فحيّاها بها في مدينةِ النّاصِرةِ ، وطلبَ منهم أيضاً أنْ لا يلتفتوا إلى التحِيّةِ المحرّفةِ بلفظِ (المنعَم عليها ) الموجودةِ في الترجمةِ البروتستانتيةِ، لأنّها ليست

---

(١) اليسوعي ، فانْ هام : المصدر السابق ص ٧٤-٧٥.

(٢) اليسوعي ، فانْ هام : المصدر السابق ص ٧٢.

التحيّةَ الملائكيّةَ الحقيقيةَ ، وما دَفعَ البروتستانت إلى تحريفِ تلك التحيّةِ والآيةِ المنزلةِ من اللهِ إلاّ لتأييدِ تعاليمهم الضالّةِ ، وللطعنِ في العباداتِ الكاثوليكيّةِ المقدّمةِ لمريمَ، وليتسلّحوا بها ضدّ معاشرِ الكاثوليكِ الذين حَمَلَهم حُبُّهم لوالدةِ الإلهِ الطاهرةِ على تقديمِ الإكرامِ والتعظيمِ والعبادةِ الكريمةِ لها ، وليَمْحُوا أخصّ صفاتِ مريمَ البتولِ الطاهرةِ ، وفريدَ سماتِها الجليلةِ التي خوّلتْها مُقاماً فاقَ كلَّ مُقامٍ ، وميّزتْها عن سائرِ الأنامِ، فتَاقَ المؤمنون إلى تكريمِها كلَّ التّكريم ، واعْتادُوا على هذا التكريمِ لهذهِ الأمِّ الإلهيةِالجليلةِ : (( حيثُ يُنادِيها المتعبّدونَ لها قائلينَ : السلامُ عليكِ يا ممتليةً نِعمةً ))[1].

ودافع عن الصوَرِ والتماثيلِ في الكنائسِ الخوريُّ يوسفُ إلياس الدبس المارونيُّ[2]، وخطّـأ البروتستانتَ في تَرجمتِهم أيضاً ، فَبَعْدما ذَكَر فَقَرَةَ إنجيلِ لوقا ٢٨/١ قال : (( وقوله : (يا ممتليةً نِعمةً ) قد تَرجمَ بعضُ الأَراتقةِ المحْدَثينَ اللفظَ اليونانيَّ فيه بمعنى يا مَرضيّةً أو يا مَحبوبةً ، مَجّاناً توفيقاً لِضلالهم ، والحالُ أنّ جميعَ القدماءِ تَرجموا اللفظَ اليونانيَّ بمعنى (يا ممتليةً نِعمةً ) باتفاقٍ عجيبٍ، وكذا تُرْجِمَ في النُّسخِ اللاتينيةِ والسُّرْيانيةِ والعربيةِ والقِبْطيةِ والفارسيةِ ، ومعنى هذهِ العبارةِ أنّ مريمَ حازتْ نِعمةً ساميةً جداً أكثر ممّا حازهُ جميعُ الأبرار والصّدّيقينَ ، لأنّ الربَّ معَها ومُساعدٌ لها بنوعٍ خاصٍّ، إذْ يريدُ أنْ يُكْمِلَ بها سِرَّ التّجسُّدِ العجيبِ ، وتَصِيرَ أُمّاً لابنِ اللهِ))[3]. انتهى بلفظِهِ مختَصراً.

وقال : (( إنّ مجرّدَ الكوْنِ أُمّاً للهِ هو مَوْهِبةٌ مَجّانيةٌ وخارجةٌ ، وإنعامٌ فرْديّ للعذراءِ ))[4].

---

(١) اليسوعي ، فَانْ هام: المصدر السابق ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) هو يوسف بن إلياس بن يوحنا الدبس ، مؤرخ باحث ، واشتغل بالتعليم ، وكان رئيساً لأساقفة بيروت ، ويلقب بالمطران دبس ، وُلد في بيروت سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م، وتوفي فيها أيضاً سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، وله مؤلفات عديدة. (انظر : الأعلام للزركلي ٢١٩/٨ ، ومعجم المؤلفين ٢٧٧/١٣).

(٣) الدبس الماروني ، يوسف إلياس : تحفة الجيل في تفسير الأناجيل ، بيروت، المطبعة العمومية ، (١٨٧٧م)، ص ٤٧٣-٤٧٤.

(٤) الدبس الماروني ، يوسف إلياس : المصدر السابق ص ٥٧٧ . وانظر دفاعه عن عبادة الأيقونات ص ٧٣٢.

وفي فهرسِ كتابهِ (تحفة الجيل ) صفحة ١٠١٨ وَضع عُنْواناً كما يلي (( ما معنى كَوْنِها ممتلئةً نِعمةً )) وأشارَ إلى الصفحتيْن ٤٧٣ و ٤٧٤ .

وفي نفسِ الفهرسِ صفحة ١٠١٩ وَضعَ عُنْواناً كما يلي : (( إثباتُ كونِها أُمَّ اللهِ)) وأشار إلى الصفحاتِ ٨ و ١٠ و ١٥٣ و ٤٧٤ و ٤٨١ و ٤٩٢.

**فها هو** الخوريُّ يوسفُ المارونيُّ ، وكذلك الأبُ فانْ هام اليسوعيُّ ، قد دافعا عن أُلوهيةِ مريمَ وعبادتِها ، لكنّ الأخيرَ ذَكرَ أمثلةً توضيحيةً للصلواتِ المقدَّمةِ لها في الكنائسِ ، وفيما يلي أذْكُرُ أمثلةً أُخرى زيادةً على ما ذَكَرَهُ.

كيفيةُ عبادةِ مريمَ في كنيسةِ الرومِ الكاثوليكِ المولودُ ضمنها ميخائيلُ مشاقة[1]

أَوْرَدَ نصَّ الصلاةِ لمريمَ من كتابِ (السّواعي ) ، المتضمن صلواتٍ يوميةً وخصوصيةً لطائفتِه :

فأولاً نحو القديسةِ المباركةِ مريمَ العذراءِ يُقال في صلاةِ نِصفِ الليلِ وغيرِها : (افْتَحِي لنا بابَ التّحنّنِ يا والدةَ الإلهِ المُباركةَ ، فإنّنا باتكالِنا عليكِ لا نَخِيبُ ، وَبِكِ نَخْلُصُ من كلِّ المِحَنِ ، لأنكِ أنتِ خَلاصُ لِجنْسِ المسيحيّينَ ).

وفي الأكسابستلاريات يُقالُ : ( يا رَجاءَ مَنْ لا رَجاءَ لهم والدةَ الإلهِ ذاتَ كلِّ مَديحٍ إليكِ أهتِفُ باكياً مِن صَميمِ قلْبي ، فأنقذيني يا عذراءُ مِن وِهادِ الجحيمِ وخلّصيني ، يا والدةَ الإلهِ الأمَّ العذْراءَ ، بما أنكِ عذوبةُ الملائكةِ ، وسَلْوةُ المحزونين ، وشفيعةُ المسيحيينَ ، أُعضدينا وأعتقينا من النارِ الأبديةِ ).

---

(١) مشاقة ، ميخائيل : الدليل إلى طاعة الإنجيل ، بيروت ، (١٨٤٩م)، ص ١٤٦-١٤٨.

وفي قانون جميع القديسين يُقال : (أَيَّتُها العذراءُ الكليةُ الطهارةِ ، يا مَنْ ولدْتِ الكلمةَ الكليَّ القدس اقصي عن قلبي كلَّ كآبةٍ وحزنٍ ، ووفّقي فِكْري ليعملَ الأعمالَ الإلهيةَ، لكيْما أُمجّدكِ بإيمانٍ وشوقٍ وأُسبّحكِ ).

وفي افتتاحِ صلاةِ الباركليسي يُقال : ( إلى والدةِ الإلهِ العذراءِ هلمَّ نسعى بحرصٍ واجتهادٍ نحنُ الخطاةَ الحقيرين البائسين، ونركعُ لها بالتوبةِ ساجدين ، ونصرخُ إليها من عمْقِ القلبِ قائلين : أيتها السيدةُ اعضدينا ، هلمّي وأسرعي وخلّصينا نحنُ الهالكين في الخطايا والمآثم ، فلا تتركي الآن عبيدَكِ مُهْمَلين ، لأنكِ أنتِ لنا عونٌ ورجاءٌ ثابتٌ ).

ثم يَجْرون في بقيةِ قِطَعِ هذه الصلاةِ ، وعلى كلّ قطْعةٍ يقولُ المرتّلُ : ( أَيَّتُها الفائقُ قدْسُها والدةَ الإلهِ خلّصينا ) ، ولْنذكُرْ بعضاً من قِطَعِ هذه الصلاةِ:

فالتسبحةُ الأولى منها : (تجاريبُ كثيرةٌ قد شملتْنا أَيَّتُها العذراء ، فبإليكِ نلتجىءُ طالبين الخَلاصَ ، فيا أمَّ الكلمةِ خلّصينا من المساوىءِ دائماً ).

ومن التسبحةِ الرابعةِ : ( إنَّ الذين اقتنوكِ يا ذات كلّ تسبيحٍ رجاءً وثباتاً وخلاصاً للنفسِ كاملاً وسوراً غير متزعزعٍ ، فإنهم يُنقَذُون مِن سائر المصاعبِ سريعاً).

ومن التسبحةِ السادسةِ : ( قد اقتنيناكِ أيتها النقيةُ كسُورٍ وملجإٍ وخلاصٍ للنفوسِ كاملٍ ، وفرحٍ في الأحزانِ ، وبنوركِ نبتهجُ دائماً ، فيا أيتها السيدةُ خلّصينا الآن من الشدائدِ والأحزانِ ).

وبعد قراءةِ إنجيلِ الباركليسي يُقال : (ليس أحدٌ يُسارعُ إليكِ محاضراً ويَمضي خازياً من قِبَلكِ أيتها البتولُ النقيةُ أمّ الإلهِ ، لكنْ يَطْلُبُ نعمةً فيستمدُّ موهبةً بحسب ما يوافقه).

ثم يُقال في التسبحةِ الثامنةِ : (أيَّتُها البتولُ اشفي أمراضَ نفوسِنا ، وطبّبي أوجاعَ أجسادِنا ، لكيْما نمجّدكِ ، يا نقيةً إلى سائر الأدْهارِ).

## كيفيةُ عبادةِ مريمَ في طقْس الروم الشرقيين (١)

يوجدُ عند الرومِ الشرقيين صلاةٌ تسمّى بـ (الباركليسي) ، وتُفرضُ إقامتُها عندهم كلّ يومٍ بعد صلاةِ الغروبِ في مدةِ الأربعةَ عشرَ يوماً التي يصومونها للقديسةِ المباركةِ مريم العذراءِ ، مبتدئين بها من أول شهر آب ، وهي تتضمّنُ طلباتٍ وتوسلاتٍ إلى طوباويّتها ممّا لا يَليقُ إلاّ باللهِ وحده ، ثم في أواسطِ هذه الصلاةِ يصرخُ المرتّلُ بأعلى صوتهِ قائلاً: ((فلتخرسْ شفاهُ الذين لا يَسجدون لأيقونتكِ يا والدةَ الإلهِ التي صُوِّرتْ مِنْ لوقا الإنجيليّ الكُلّيّ الطُّهْرِ، التي بها اهتدينا إلى الأمانةِ المستقيمةِ )).

وهذه الألفاظُ لا توجدُ مكتوبة رسمياً ضِمْن كُتبِ الطقْس ، بل إنّ استعمالَها عند الرومِ الكاثوليكيين وغيرِهم على زعمهم من التقليداتِ غيرِ المُكْتتبةِ ، وعند تلاوتِها يخرّ كلُّ مَنْ في الكنيسةِ ساجداً ، ويُقبّلُ الأرضَ أمامَ تلك الصورةِ المنصوبةِ أمامَ الهيكلِ على مائدةٍ مرتفعةٍ ، وتكونُ الصورةُ مغطاةَ الرأسِ ، والشموعُ متّقدةٌ أمامَها ، ولا يَكْتفون بعبادةِ تلك الخشبةِ المصوّرةِ بالألوانِ ، بل يشتمون مَنْ لا يفعل فعلَهم ، ويزيدون عليه افتراءَهم على لوقا بأنه هو أصْلُ هذا التعليمِ الباطلِ ، فيتّهمونه أنّه هو الذي اخترعَ الصورَ في كنيسةِ المسيحِ ، مع أنّ إنجيلَ لوقا وسفرَ أعمالِ الرسلِ المنسوبيْن إليه لمْ يَذْكُرا شيئاً من ذلك ، ولوقا كان طبيباً لا مصوّراً.

## عبادةُ مريم في الكنيسةِ الرومانيةِ وصفةُ الصلاةِ لها (٢) :

(( يوجدُ في أَحدِ الكتبِ الرومانيةِ هذه الصلاة لمريم العذراءِ وهي : يا خطيبةً مختارةً من الله . يا أيتها المستحقةُ الإكرام فوق الجميعِ ، والمستحقة المحبّة قَبْل الجميعِ ، يا بابَ السماءِ ، يا مَنْ هي الخلاص والسعادة الحقيقية ، يا تعزية

---

(١) مشاقة ،ميخائيل : الدليل إلى طاعة الإنجيل ، بيروت ، (١٨٤٩م)، ص ١١٢ - ١١٣.

(٢) بردكان، إسحاق : الثلاث عشرة رسالة ، بيروت، (١٨٤٩م) ، ص ٢٣١-٢٣٢.

المحزونين، يا ملكةَ السماءِ التي جميعُ الملائكةِ يَسجدون لها ، وكلُّ شيءٍ يسبّحها ويكرّمها ، صلّي لأجْلِنا ، خلّصينا يا أيتُها الملكةُ مِنْ كلِّ شرٍّ ، مِنْ كلِّ تَجْربةٍ ، مِنْ غضبِ اللهِ وسخطهِ ، مِنْ قَطْعِ الرجاءِ ، خلّصينا مِن الكبرياءِ والبخلِ والغضبِ والحسَدِ ، خلّصينا في ساعةِ الموتِ، وفي يومِ الدينِ من عذاباتِ جهنم الشديدةِ ، نتضرّعُ إليكِ أنْ تُسرّي وترتضي بأنْ تَحفظي الكنيسةَ المقدسةَ وجميعَ الشعبِ المسيحيّ ، فاستمعينا يا أُمَّ اللهِ يا ابْنةَ اللهِ يا خطيبةَ اللهِ ، يا سيدتنا ارحمينا ، وأعطينا السلامَ الدائمَ ، يا أمّ النعمةِ، يا سرورَ البائسينَ الأشقياءِ ، يا نورَ الكنيسةِ لكِ نسجدُ ، لكِ نرتّلُ تسابيحَ من صميمِ قلوبنا ، أنتِ خلاصُنا وفرجُنا في وقتِ الضيقِ)).

## صفةُ الصلاةِ لمريم من كتاب مزامير العذراء:

هذا الكتابُ للقديس بوناونتورا ، وهو نفسُه مزاميرُ النبي داود عليه السلام، لكنّ (ونتورا) أعادَ طبْعَهُ ، بعد أنْ محا اسمَ الله تعالى منه ، وَوَضَعَ عوضه اسمَ العذراءِ مريم ، وصفاتِها التي يريدونها لها بزعمهم ، وفيه عدةُ صلوات لمريم أكتفي على نقل اثنتيْن منها ، الأُولى كما يلي : [1].

(( طوبى للرجلِ الذي يُحبُّ اسمَكِ يا مريم البتول ، فإنّ نعمتَكِ تعزّي نفسَه ، فيكون كالعودِ المغروسِ على مجاري المياهِ،ولماذا ارتجّتْ أعداؤنا وهدّتْ علينا بالباطلِ ، فلتعضدْنا يمينك يا أمّ الله . يا سيدتنا لماذا كَثُر الذين يحزنوننا ، ففي ريحِكِ العاصفِ نطردهم ونبدّدهم . فلتسجدْ لكِ جميعُ قبائلِ الأرضِ ، ولتمجدكِ كافةُ أجواقِ الملائكةِ، اصغي إليّ ، وأحييني ورجّعيني مِن أبوابِ الموت ، ومِن أمواجِ الضيقاتِ المحيطةِ بي، ولأجْل سلطانِ يمينِكِ وعظمتها اسحقي وبدّدي جميعَ أعدائي ، وأقدّم لكِ ذبيحةَ التسبيحِ وأعظم مجدكِ)) .

---

(١) بردكان ، إسحاق : الثلاث عشرة رسالة، بيروت، (١٨٤٩م)، ص ٢٣٢-٢٣٣.

والثانيةُ كما يلي (١).

(( معظّمةٌ أنتِ يا سيدة وممجّدةٌ جدًّا في مدينةِ إلٰهِنَا ، وفي بَيْعةِ مُختاريهِ، يا أمّ إلٰهنا تشفّعي فينا ، لأنكِ خلاصُ الملائكةِ والناسِ ، إلى مريم صرختُ في شِدّتي فأجابتْني برفعتِها ، إليكِ يا سيدةُ رفعْتُ نفسي في قضاءِ إلٰهي فلا أُخرى ، إنّ معونتّنا بقوّةِ اسمكِ، وبكِ تستقيمُ أعمالُنا كلُّها )).

## صفةُ صلاةٍ أُخرى لمريم

ورد في بداية كتاب خِدْمة العذراءِ المباركةِ صفةُ صلاةٍ لمريم كما يلي: ((للثالوثِ الأقدسِ ولصليبِ ناسوتِ ربّنا يسوعَ المسيحِ وللعذراءِ المُباركةِ الدائمةِ البتوليّةِ ولجميعِ القديسين ليكُن الحمدُ الدائمُ والكرامةُ والثناءُ والمجدُ مِن كلّ الخليقةِ، وَلَنَامغفرةُ جميعِ خطايانا إلى أبد الآبدين . آمين )) (٢).

فهنا قد وُضِعَ الثالوثُ الأقدسُ وَخَشَبةُ الصليبِ ومريمُ العذراءُ وجميعُ القديسين في منزلةٍ واحدةٍ. فالعجبُ من تمسّكِهم بالتثليثِ وإشهارِهم لهُ وتصريحِهم بهِ، ولمْ يَرْتقوا به إلى التربيع والتخميس ، بل أكثر.

(١) فنديك ، كرنيليوس :كشف الأباطيل في عبادة الصور والتماثيل ، بيروت، (١٨٥٣م)، ص ٢٧.

(٢) فنديك ، كرنيليوس : كشف الأباطيل في عبادة الصور والتماثيل، بيروت،(١٨٥٣م)، ص ٢٨.

## الخاتمةُ وفيها أهمُّ نتائجِ البحث :

وهي كما يلي :

أ- أنّ التوراةَ حرّمتْ عبادةَ الصوَرِ والتماثيلِ ولعنتْ مَن فعل ذلك.

ب- أنّ عبادةَ الصورِ والتماثيل تسرّبتْ إلى الكنائس النصرانية تدريجيًّا لأجْل إرضاء الوثنيين ، وكان أولُ ظهورها على أيدي طوائف الأراتقة الذين مزجوا الفلسفةَ الوثنيةَ بالشعائرِ الدينية .

ج- أنّ المجامع النصرانية الأولى وكبار الأساقفة القدامى حرّموا وضْعَ الصورِ والتماثيل في الكنائس لئلا ينقاد الناسُ إلى عبادتها.

د- أنّ مجمع نيقيّة الثاني المنعقد سنة ٧٨٧م - والذي لم يحضره أحد من أساقفة المشرق - هو أول مجمع حَكَم بوجوب استعمال الصور والتماثيل في الكنائس ، وجوّز تقديم العبادة لها والتوسل بها ، ولم يستند في حُكْمه ذلك على شهادة أحدِ الآباءِ الذين كانوا قبْل الجيل الرابع، وإنما بنى حكْمه على حكايات خرافية لا أصل لها اخترعها عوامُّ الناس في الجيل السادس .

هـ- أنّ العقل يَحكُم ببطلان عبادة الصور والتماثيل، ولكنْ سِرُّ بقائها وانتشارها في الكنائس يرجع إلى رغبة الكهنة في اجتذابِ الشعب إلى طاعتهم ، والاستيلاءِ على ضمائرهم وأموالهم ، وتوسيعِ دائرة سلطانهم ، فسهّلوا للعامّة عبادةَ صُوَرِ القديسين وتماثيلهم .

و- أنّ عُبّاد الصور والتماثيل اختلفوا فيمن يستحق العبادة من القدّيسين ، فلكل طائفة قدّيسوها ، لكنهم أجمعوا على وجوب عبادة مريم ، بصفتها رئيسة القديسين جميعًا ووالدة الإله ، فيصلّون لها ، ويسجدون أمامها ، ويتضرّعون إليها ، ويطلبون منها الشفاءَ من الأمراض ، والحمايةَ من الناس والشيطان ، والشفاعةَ في الخلاص من جهنّم .

وأخيراً إذا رجعنا إلى المعاجم اللغوية نجد أنها تفسر كلمة الإله بالمعبود ، وأكتفي بنقل نصّ واحد منها عند كلمة أَلِهَ ، فقد جاء في لسان العرب ما يلي : ((أَلِهَ ، الإِلٰهُ: الله عز وجل ، وكلّ ما اتُّخذ من دونه معبوداً إِلٰهٌ عند مُتَّخِذِه ، والجمع آلهةٌ . والآلهةُ: الأصنامُ ، سُمُّوا بذلك لاعتقادهم أنّ العبادة تحُقّ لها ، وأسماؤهم تَتْبع اعتقاداتهم ، لا ما عليه الشيء في نفسه )) [1].

وقال ابن سيده : (( والإلاهةُ والأُلوهةُ والأُلوهيّةُ : العبادةُ. وقد قُرِئَ: وَيَذَرَكَ وآلِهتكَ ، وقرأ ابنُ عباس : وَيَذَرَكَ وإلاهَتَكَ بكسر الهمزة : أيْ وعبادتك )) [2].

فإذنْ الإِلٰهُ : هو المعبودُ ، سواء كان معبوداً حقّاً وهو الله تعالى لا غيره، أم كان معبوداً باطلاً كعيسى ومريم والشمس والقمر والأصنام ، والقرآنُ الكريمُ ما أَطلق على الأصنام لفظَ الآلهة إلاّ لأنها تُعبَد من دون الله ، وليس لها من حقيقة الأُلوهيةِ شيء، فإذا علمْنا ذلك عرفنا سبب إطلاق القرآن الكريم على عيسى وأمّه لفظ (إِلٰهيْن) ، وهو لأنّهما عُبِدا من دون الله، والنصارى وإنْ صرّحوا بأُلوهيةِ عيسى ولم يُصرّحوا علناً بأُلوهيّةِ مريم، لكنّ صُوَرَ العبادةِ المقدّمة لها تجعلها في صفّ الآلهةِ المعبودةِ من دون الله ، فجاز إطلاقُ لفظ الإِلٰه عليها.

وبناءً عليه فلا يجوز التهاون في صرْفِ أيّ نوعٍ من العبادات لغير الله من الوُسَطاء والشفعاء سواء كانوا جنّاً أم إنساً أم حيواناتٍ أم جماداتٍ ، وسواء كانوا أحياءً أم أمواتاً، وقد رأينا أنّ علماء النصارى ومجامعهم كانوا في بداية الأمر مُنْكرين استعمالَ الصور والتماثيل ، لكن التساهل والتهاون التدريجي أَدْخل عليهم بمرور الزمان عبادةَ غيرِ اللهِ ، بأنْ صَرَفوا لأمواتهم جميعَ صوَرِ العبادةِ التي لا تُصْرف إلا لله وحده سبحانه

---

(١) انظر : لسان العرب (عند كلمة أله) ١٣/٤٦٧ .
(٢) انظر : لسان العرب ١٣/٤٦٨ .

وتعالى ، ولم يقتصروا على ذلك ، بل صرفوا جميع أنواع العبادات إلى صور الموتى وتماثيلهم المجسّمة، ويأتي في مقدّمة تلك الصور والتماثيل ما كان دالاً على عيسى وأمّه .

وأستطيع أن أجزم وأقول : إنّ الآية ١١٦ من سورة المائدة المصرّحة باتّخاذهم مريمَ إلهاً دليلُ نبُوّةِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم،لأنّه أخبر عن عقيدة خاصة ببعض طوائف النصارى الذين يعتقدون بوجوب عبادة مريم ، وإذا كان هذا الأمر شاع وانتشر في القرون المتأخرة ، فإنه كان في القرن السابع الميلادي أمرًا مخفياً ، فكيف كشف محمدٌ صلى الله عليه وسلم سرًّا من أسرار عقائد النصارى لو لمْ يكنْ ذلك الكتاب منزلاً عليه من عند علاّم الغيوب ؟! .

وهنا في هذا المقام تذكّرْتُ تلبيسَ الشيطان على بعض فئات المسلمين الذين لا يطيب لهم ذبْح نذورهم إلاّ عند قبور الموتى ، ويقولون بكل جزم وثقة ويقين بأنهم يذبحون لله وعلى اسمه، ولكن التهاون جرّهم وبالتدريج وبمرور الزمان إلى الذبح لهؤلاء الموتى والنذر لهم ، وطلب الشفاء وقضاء الحاجات منهم ووضْع الهدايا عند قبورهم خشية غضبهم ودفعاً لنقمتهم.

أليس هذا هو حذو النعل بالنعل الذي أخبرنا به رسولُ الله الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، وحذّرنا من سلوك هذا الطريق ؟ فإنّ النصارى قد غَلوا في عيسى ومريم وسائر صالحيهم وقديسيهم فجَرّهم الغلوُّ إلى عبادتهم حتى وصفهم الله في مواطن كثيرة من القرآن الكريم بالكفر ، وقد حذّرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الغلوّ فيه، فما بال كثير من فِرق المسلمين وطوائفهم في أنحاء كثيرة من العالم يغالون ليس في رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسب ، بل وفي موتاهم الذين صاروا تراباً ورمماً بالية، وقدّموا لهم أنواعاً من العبادات لا تقلّ عما يقدّمه النصارى لمريم وعيسى ، وإنّ الله الذي سيسأل عيسى يوم القيامة (ءَأَنْتَ قُلْتَ للنّاسِ اتّخِذُوني وأُمّيَ إلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّه) سيسأل صالحي المسلمين : هل دَعَوا أحدًا إلى عبادتهم من دون الله؟ وسيتبرّؤون من هذه الدعوة كما تَبرّأ منها عيسى وأُمّه عليهما السلام.

وسبحان ربك ربِّ العزةِ عما يصِفون وسلامٌ على المرسَلين والحمدُ لله ربّ العالمين.

# مراجع البحث


١- **القرآن الكريم**

٢- **الكتاب المقدس عند النصارى** ، ويشتمل على كتب العهدين القديم والجديد، أي التوارة وملحقاتها والانجيل وملحقاته ، طبعات سنة ١٨٢٣م، و ١٨٢٥م ، و ١٨٦٥م ، و ١٨٨٢م ، و ١٩٨٢م .

٣- بردكان ، إسحاق :**الثلاث عشرة رسالة** ، بيروت ، (١٨٤٩م).

٤- خليفة ، حاجي مصطفى بن عبدالله القسطنطني الحنفي الشهير بالملا كاتب الجلبي والمعروف بحاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م : **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، ويلحق به إيضاح المكنون وهدية العارفين ، دار الفكر، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

٥- الدبس الماروني اللبناني ، الخوري يوسف الياس المتوفى سنة ١٩٠٧م : **تحفة الجيل في تفسير الأناجيل** ، جمعه من تفاسير العلماء الكبار : كرنيليوس الحجري ، ويوحنا ملدوناتوس ، ويعقوب تيريني اليسوعيين ، مترجما من اللاتينية إلى العربية، بيروت المطبعة العمومية ، طبع باهتمام صديقه الخواجه رزق الله خضرا، (١٨٧٧م).

٦- الزركلي ، خير الدين : **الأعلام** ،بيروت ، ط ٦ ، دار العلم للملايين ، (١٩٨٤م).

٧- الطرابلسي ، نوفل بن نعمة الله بن جرجيس ، المتوفي سنة ١٣٠٥هـ: **سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان** ، ألفه سنة ١٨٧٢م، بيروت، (١٨٧٦م).

٨- طمسن ، جون الكساندر وآخرون : **قاموس الكتاب المقدس** ، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ، بيروت ، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، آذار (١٩٧١م).

٩- العلم الماروني ، يوسف العلم ، أحد الكهنة المرسلين اللبنانيين : **تيسير الوسائل في تفسير الرسائل** ، اقتطفه عن بعض مشاهير المفسرين ، بيروت ، المطبعة العمومية ، طبع بنفقة صديقه الخواجة رزق الله ميخائيل خضراء ، (١٨٧٣م).

١٠- غربال ، محمد شفيق : **الموسوعة العربية الميسرة** ، بيروت ، دار نهضة لبنان للطباعة والنشر ، (١٤٠١هـ/١٩٨١م).

١١- فنديك ، كرنيليوس : **كشف الأباطيل في عبادة الصور والتماثيل** ، وبه أُلحقت الرسالتان الثالثة والرابعة من كتاب الثلاث عشرة رسالة ، بيروت ، (١٨٥٣م).

١٢- كحالة ، عمر رضا : معجم المؤلفين ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، (١٣٧٦هـ/١٩٥٧م)

١٣- مشاقة ، ميخائيل بن جرجس بن إبراهيم ، اللبناني مولداً ، الروم الكاثوليكي طائفة ، **الدليل إلى طاعة الإنجيل** ، بيروت ، (١٨٤٩م).

١٤- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري ٦٣٠-٧١١هـ: **لسان العرب** ، بيروت ، دار صادر.

١٥- موسهيم، يوحنا لورنس فان،رئيس مدرسة كوتنجن الكليّة : **تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثه** ، تُرجم من الأصل اللاتيني إلى الإنكليزي عن يد العلامة يعقوب مردوك الأمريكاني ، ووقف على طبعهِ في اللغةِ العربية ونقحه القس هرس جسب الأمريكاني ، بيروت ، المطبعة الأمريكانية ، (١٨٧٥م).

١٦- اليسوعي ، الأب يوسف فان هام : **كشف التلاعب والتحريف في مسّ بعض آيات الكتاب الشريف** ، تفنيداً لما أحدثته أيدي إنجيليّي بيروت في نسختهم العربية ، بيروت ، مطعبة الآباء اليسوعيين ، (١٨٧٢م).

١٧- اليسوعي ، الأب فان هام : **الكوكب الوضاح في تاريخ الإصلاح** ، بيروت ، مطبعة المرسلين اليسوعيين ، (١٨٧٦م).

# تأليهُ مريمَ ابنةِ عمرانَ والعباداتُ المقدَّمةُ لها عند النصارى

أعدّه الدكتور

محمد أحمد محمد عبدالقادر ملكاوي

أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية التربيه - جامعة الملك سعود

الرياض

١٤١٣هـ/١٩٩٣م

# شروط النشر بمركز البحوث التربوية

## كلية التربية - جامعة الملك سعود - الرياض

١ - تكون أولوية النشر لمنسوبي الجامعة.

٢ - أن يكون موضوع البحث ذا علاقة بأحد التخصصات التي تقدمها الكلية.

٣ - أن تكون أولوية النشر للبحوث المكتوبة باللغة العربية.

٤ - تكون الأولوية للبحوث المتعلقة بالمجتمع السعودي.

٥ - أن يكون البحوث غير منشور أو مقدم إلى جهة أخرى للنشر في نفس الوقت.

٦ - يحتفظ المركز بالحقوق التي تكفلها الأنظمة أو قرارات المجلس العلمي للنشر لمدة خمس سنوات من تاريخ قرار مجلس إدارة المركز بالموافقة على نشر البحث ولا يجوز نشره في أي صورة كانت خارج الجامعة خلال هذه الفترة إلا بإذن خطي من مجلس إدارة المركز.

٧ - إذا أذن مركز البحوث التربوية للباحث بنشر بحثه (أو إعادة نشره) لدى جهة خارج الكلية فإن الباحث يتعهد بالتنويه بدور المركز (في التمويل أو التحكيم أو كليهما) ويتعهد بتقديم مئة نسخة من بحثه هدية للمركز.

٨ - أن يتبع في البحث المنهج العلمي المتعارف عليه، وأن تكون الإجراءات المنهجية مفصلة قدر الإمكان.

٩ - يجب أن ترفق الملاحق الإحصائية وأدوات البحث إن وجدت.

١٠- تذكر المراجع داخل البحث بوضع الإسم الأخير للمؤلف وتاريخ المرجع وصفحة الاقتباس بين قوسين في المكان المناسب.

١١- يجب أن تكون هناك قائمة بالمراجع في ملاحق البحث مرتبة حسب الإسم الأخير للمؤلف ويلتزم بنسق واحد في ترتيب بقية المعلومات.

١٢- أن يكون مطبوعا مسافة سطر ونصف وتترك هوامش بيضاء في صفحات البحث وفقا لما يلي: في أعلى الصفحة ٥سم، وفي بقية الجوانب الأخرى ٤٫٥سم بحيث تكون المساحة الفعلية للطباعة (١٢سم عرضX١٩سم طول)، ويكون ترقيم الصفحات من أسفل.

١٣- يقدم البحث من أصل ونسختين غير مدبسة أو مجلدة.

١٤- يُخْضِع مركز البحوث جميع البحوث المقدمة إليه للتحكيم قبل نشرها.

١٥- يتحمل الباحث تكاليف التحكيم في حالة سحبه للبحث بعد ارساله للتحكيم.

١٦- جميع البحوث الصادرة عن المركز تعبر عن وجهة نظر من قام بإعدادها.

١٧- يرفق الباحث مستخلصا لبحثه باللغتين العربية والانكليزية في حدود ٢٠٠ كلمة على أن يشتمل النقاط التالية:

أ - مجال الدراسة (تصنف حسب الموضوع الذي تبحثه الدراسة).

ب - عنوان البحث.

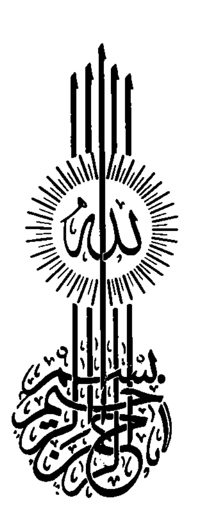
ج - اسم الباحث أو الباحثين مع تخصص كل منهم (إذا نص على باحث رئيسي فيشار إلى ذلك).

د - عدد صفحات البحث.

هـ- نبذة عن الموضوع تشمل الجوانب التالية حسب طبيعة البحث:

- هدف أو مشكلة البحث. - العينة. - أدوات الدراسة.

- طريقة البحث (المنهج). - أهم النتائج.


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

## تقـــديم

من أهم أهداف مركز البحوث التربوية بكلية التربية - جامعة الملك سعود تشجيع البحث العلمي ونشر البحوث والدراسات المتخصصه بعد اخضاعها للفحص والتحكيم العلميين .

و إنفاذاً لذلك يسعد المركز أن يقدم للقارىء والباحث وللمكتبة العربية هذه الدراسة التى تطرقت إلى كيفية تألية مريم ابنة عمران والعبادات المقدمة لها عند النصارى للزميل الدكتور محمد أحمد عبد القارد ملكاوى الذى بذل جهداً كبيراً تجلى فى المستوى الذى خرجت به .

وغنى عن القول أن الأمة الإسلامية بأمس الحاجة إلى مثل طرق تلك المواضيع التى تقدم للباحث والدارس معلومات دقيقة عن الديانات الأخرى وخاصة الدعاة الذين يذهبون إلى ديار غير المسلمين مما يساعد على محاورتهم وإقناعهم والرد عليهم من خلال كتبهم .

أسال الله أن يثيب الباحث على ما بذل من جهد . والحمد لله من قبل ومن بعد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

الرياض ١٤١٣/١/٤هـ

مدير مركز البحوث التربوية

د. صالح بن مبارك الدباسي

## مستخلص البحث

**مجالُ الدراسة** : دراسات إسلامية /عقيدة إسلامية

**عنوان البحث** : تأليهُ مريمَ ابنةِ عمرانَ والعباداتُ المقدَّمة لها عند النصارى

**اسم الباحث** : الدكتور محمد أحمد محمد عبدالقادر ملكاوي

**عدد صفحات البحث** : ٤٢

**نبذة عن الموضوع :**

أ- **هدف البحث** : إثباتُ تأليهِ النصارى لمريم ابنة عمران تصديقاً لقوله تعالى ((... أأنت قلت للناس اتخذوني وأمّيَ إلهين من دون الله)) ، وكيف تمّ ذلك تاريخياً ، وما هي الفِرق التي تؤلّهها وتعبدها ، والفِرق التي تنكِر ذلك ، وأنواعُ العبادات المقدَّمة لها في الكنائس .

ب- **مراجعُ الدراسة** : كتب النصارى أنفسِهم من الكاثوليك المعتقدين بألوهيّة مريم والبروتستانت النّافين لها.

ج- **نتيجةُ البحث** : أنّ عبادةَ مريم دخلتْ في الكنائسِ النصرانية بسبب التساهلِ في استعمال الصوَرِ والتماثيلِ ابتداءً ، وكان المتساهلون يظنون أنها لن تُعْبَدَ من دون الله، ثم بمرور الزمانِ ، قُدِّمت أنواعُ العباداتِ لهذه الصوَرِ والتماثيلِ ، وفي مقدمتها صورةُ وتمثالُ المسيحِ عيسى وأمِّه ، فأطلق القرآنُ عليهما لفظ (إلهيْن) لأنهما عُبِدا من دون الله ، والإلهُ هو المعبود.

# STUDY ABSTRACT


**Subject:** Islamic Studies / Islamic Faith

**Title :** Deification of Mariam Bint Imran (Mary the Virgin) and the worship offered thereto by Christians.

**No. of pages :** 42

**Subject outline:**

A) Study objective : To prove that Christians deified Mary, in verification of the Quraanic statement, ***" And behold ! Allah will say : " O Jesus the son of Mary! Didst thou say unto men, worship me and my mother as gods in degoration of Allah?*** (verse 116 chapter V) and how did that develop historically, cults regarded her as Goddess and offered worship thereto, cults who denied that , type of worship offered to her in churches.

B) Study Resources : Christian resources from both Catholics who support deification of Mary and Protestants who deny the same.

C) Conclusion: Worship of Mary developed in the Christian Church in the beginning as a result of permitting pictures and icons to be used assuming that that would not lead people to worship the same.
Afterwards worship was gradually offered to those pictures and icons the most important of which the icons of Jesus and his mother . Thus Quraan referred to them as"Two Gods" because they were worshiped as gods; God means the one being worshiped.

## فهرس العناوين الفرعية للبحث